روائع المسرح العالمى
٥٩

أوندين

تأليف : جان جيرودو
ترجمة : دولت حسن
مراجعة وتقديم : الدكتور محمد مندور

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

الفصل الأول

كوخ صيادين ــ العاصفة فى الخـــارج

المنظر الاول

اوجست العجوز ــ اوجينى العجوزة

اوجست : (فى النافذة) ماذا يمكنها أن تفعل فى الخارج الى الآن فى هذه الظلمة !

اوجينى : لماذا تقلق عليها ؟ انها ترى فى الليل !

اوجست : فى هذه العاصفة !

اوجينى : كأنك لم تعد تعرف أن الأمطار لا تبللها !

اوجست : انها تغنى الآن ! .. هل تعتقدين أنها هى التى تغنى ؟ انى لا أتعرف على صوتها .

اوجينى : من تريدها أن تكون ! اننا نبعد ٢٠ فرسخا عن أى منزل .

اوجست : الصوت ينطلق حينا من وسط البحيرة وحينا من أعلى الشلال .

اوجينى : ذلك لأنها حينا فى وسط البحيرة وحينا فى أعلى الشلال .

اوجست : انك تمزحين ! كنت تلهين بقفز القنوات فى أثناء الفيضان وأنت فى مثل سنها .

اوجينى : حاولت مرة واحدة . وقد انتشلونى من قدمى . حاولت مرة واحدة فقط ما تفعله هى آلاف المرات كل يوم .. تقفز من فوق الهوة ، تستقبل مياه الشلالات فى وعاء .. آه اننى أذكر هذه المرة التى حاولت فيها أن أسير على الماء !

اوجست : انا ضعاف جدا معها يا أوجينى . فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها لا يجب أن تتجول فى الغابات فى مثل هذه الساعة . سأتكلم جديا . انها لا تصلح ثيابها الا على قمة الصخور ولا تقيم صلواتها الا ورأسها تحت الماء .. ماذا يكون عليه حالنا اليوم لو كانت تربيتك بهذه الطريقة !

اوجينى : أليست تساعدنى فى أعمال المنزل .

اوجست : يمكن قول الكثير فى هذا الموضوع ..

اوجينى : ماذا تدعى أيضا ؟ ألا تقوم بغسل الأطباق ؟ ألا تقوم بتلميع الأحذية ؟

اوجست : فى الحق انى لا أعرف شيئا .

اوجينى : أليس نظيفا هذا الطبق ؟

اوجست : لا أقصد هذا . وانما أقول لك انى لم أرها أبدا وهى تغسل أو تلمع .. وأنت كذلك لم تريها ..

اوجينى : انها تفضل العمل فى الخارج ..

اوجست : نعم ، نعم ! ولكن ليكن هناك ثلاثة أطباق أو اثنا عشر ، حذاء واحد أو ثلاثة أزواج ، فهذا يستغرق نفس الوقت . لا تمر دقيقة الا وتكون قد عادت . قطعة القماش لم تستعمل وعلبة الورنيش لم تمس . ولكن كل شىء نظيف ، كل شىء لامع .. وقصة الأطباق الذهبية ، هل استوضحت الأمر ؟ ويداها لا تسخان أبدا .. هل تعلمين ماذا فعلت اليوم ؟

اوجينى : هل مر يوم منذ خمسة عشر عاما ، فعلت فيه ما كنا ننتظره ؟

اوجست : رفعت حاجز حوض السمك ، وأسماك اللوت التى جمعتها منذ الربيع ذهبت .. استطعت الامساك بسمكة العشاء فقط .

(النافذة فتحت فجأة) ما هذا ايضا ...

اوجينى : انك ترى جيدا . انها الرياح .

اوجست : أقول لك انها هى ! .. عساها لا تبدأ معنا مهازلها بهذه الرؤوس التى تظهرها فى النافذة فى ليالى العاصفة .. ان رأس العجوز البيضاء تجعلنى أشعر بقشعريرة البرد فى ظهرى .

اوجينى أما أنا فأحب رأس السيدة بلآلئها .. اقفل النافذة ، على كل حال ، اذا كنت تشعر بالخوف.

(رأس عجوز متوج له لحية مرسلة ، ظهرت من فتحة النافذة على ضوء البرق)

الرأس : لقد تأخرت يا أوجست ! ...

اوجست : سترين اذا كنت قد تأخرت يا أوندين !

(يقفل النافذة . تفتح من جديد فجاة وتظهر راس جميلة مضيئة) .

اوجينى : أوندين ، ان والدك ليس مسرورا ! ادخلى ! ..

اوجست : هلا دخلت يا أوندين ! سأعد ثلاثة . وعنـدما أقول ثلاثة اذا لم تطيعى سأغلق بالمزلاج ... وستنامين فى الخارج .

اوجينى : انك تمزح !

اوجست : سترين ما اذا كنت أمزح ! .. أوندين واحد !

اوجينى : الجميع يعلمون انك تعرف العد حتى ثلاثة !

اوجست : أوندين ، اثنين !

اوجينى : انك غير محتمل !

اوجست : أوندين ، ثلاثة !

اوجست : (يقفل بالمزلاج) هكذا ..

ها نحن نستطيع أن نتناول العشاء فى سلام .

(يفتح البـــاب على مصراعيه . يلتفت اوجست واوجينى على الصوت . فارس مدرع يقف على عتبة الباب) .

المنظر الثـــانى

الفارس . اوجست . اوجينى

الفارس يصك قدميه فى وقفة انتباه :

ريتز هانز فون فيتشتاين تسو فيتشتاين .

اوجست : يدعوننى أوجست .

الفـارس : لقد سمحت لنفسى بأن أضع حصانى فى مخزن قمحكم . الحصان كما يعلم كل انسان هو أهم متعلقات الفارس .

اوجست : سأذهب يا سيدى لأنظفه وأزيل عرقه .

الفـارس : لقدفعلت ذلك شكرا . اننى أنظفه بنفسى على طريقة أهل الأردن وأنتم تنظفونهم هنـا على طريقة أهل السواب . انكم تتناولون معـرفة الحصان فى اتجاه عكسى ولذلك فهو يفقد لمعانه وخاصة اذا كان من الخيول الرقش . هـل أستطيع الجلوس ؟

اوجست : اعتبر نفسك فى منزلك يا سيدى .

الفـارس : يا لها من عاصفة ! منذ الظهيرة والماء ينســاب

داخل رقبتى ويخرج من مزراب الدم لقد وقع المحظور فهذا أشد ما نخشاه نحن الفرسان ونحن داخل الدرع .. المطر .. المطر والبرغوث .

أوجست : ربما استطعت أن تخلعه يا سيدى ، اذا كنت ستقضى الليلة هنا .

الفارس : هل رأيت الجمبرى وهو يغير القشرة الصلبة التى تغطى جسمه يا عزيزى أوجست ؟ اه فى مثل هذا التعقيد ! سأستريح أولا .. قلت لى انهم يدعونك أوجست ، أليس كذلك ؟

أوجست : وزوجتى يدعونها أوجينى .

أوجينى : معذرة يا سيدى فهذه ليست أسماء لفرسان متجولين .

الفارس : لا يمكنك أيتها المرأة الطيبة أن تتصورى الفرحة بالنسبة للفارس الذى يبحث بدون جدوى طول الشهر داخل الغابة عن فراموند وأسموند اذ يعثر فى ساعة العشاء على أوجست وأوجينى .

اوجينى : فى الواقع يا سيدى ! ليس من اللائق أن نوجه الأسئلة الى ضيفنا . ولكن ربما غفرت لى هذا . هل تشعر بالجوع ؟

أوجست : انى جائع . انى جائع جدا . سأقاسمكم بكل سرور عشاءكم .

اوجينى : لن تعشى يا سيدى . ولكن عندى هنا سمكة لوت ربما يطيب لك أكلها ..

الفارس : لا شك فى هذا . انى أعبد سمك اللوت .

اوجينى : هل تريدها محمرة أو مشوية ؟

الفارس : أنا ؟ أريدها مسلوقة .

(يظهر الرعب على اوجست واوجينى) .

اوجينى : مسلوقة ؟ انى أتقنها وخاصة هذا النوع بالزبدة البيضاء .

الفارس : انك تسألينني رأيى . أنا لا أحب هذه السمكة الا مسلوقة .

اوجست : بالقسماط فى الفرن ، أوجينى تبدع فى هذا .

الفارس : ما هذا ! أليس المسلوق أن تلقى بالسمكة وهى حية فى الماء المغلى المتبل ؟

اوجست : تماما يا سيدى .

الفــارس : ولذلك تحتفظ بنكهتها وبلحمها لأن الماء المغلى فاجأها ؟

اوجست : فاجأها ما هو الا تعبير يا سيدى .

الفــارس : اذن ليس هناك مجال للشك . أريدها مسلوقة .

اوجست : اذهبى يا أوجينى واطهها مسلوقة .

اوجينى : (من عند الباب) محشوة بلا دسم تكون لذيذة جدا كذلك .

اوجست : اذهبى ..

(اوجينى تذهب الى المطبخ . الفارس يستريح فى جلسته) .

الفــارس : أرى أنهم يحبون الفرسان المتجولين فى هذه الأنحاء ؟

اوجست : اننا نحبهم أكثر من المسلحين . فالفارس المتجول علامة على انتهاء الحرب .

الفــارس : أنا أحب الحرب . لست شريرا . لا أريد السوء لأى انسان ولكنى أحب الحرب جدا .

اوجست : لكل ذوقه الخاص يا سيدى .

الفـارس : أنا أحب الكلام . فأنا ثرثار بطبعى . فى الحرب تجد دائما من تتحدث معه اذا كان من معـك متعكر المزاج تتخذ أسيرا . تحادث قسيـا انهم أكثر الناس ثرثرة . تتشل عـــدوا جريحا وسيقصون عليك تاريخ حياتهم . أما الفارس المتجول مثلى فاذا استثينا الصدى لا أرى مع من استطعت تبادل كلمة واحدة منذ شهر ، وأنا أجتهد لأعبر هذه الغابة .. لا أحد .. والله يعلم كم من الكلام عندى لأقوله .

اوجست : انهم يؤكدون يا سيدى ان لغة الحيـوانات مكشوف عنها الستار للفرسان المتجولين .

الفـارس : ليس بالمعنى الذى تقصده . بكل تأكيد تتكلم معنا . كل حيوان مفترس بصفته رمزا للفارس زئيره أو نداؤه يصبح جملة رمزية تحفر بحروف من نار فى أذهاننا . فالحيوانات اذا كنت تفضل ذلك تكتب أكثر مما تتكلم . ولكن هذا ليس متنوعا : كل فصيلة لا تقول لك الا جمـــلة واحدة وعن بعد وفى بعض الأحيـان بلهجة مرعبة .. الوعل عن النقاء ، الخنزير الوحشى

عن احتقار خيرات الأرض .. وعادة دائما الذكر العجوز هو الذى يكلمك . وخلفه صغار رائعو الحسن واناث غــــاية فى اللطف .. لا ، دائما يزعجك رؤية التيتل أو الخنزير البرى المتوحش العجوز .

أوجست : هناك الطيور ؟

الفــارس : الطيور لا ترد عليك . لقد خيبت ظنى الطيور . انها تردد للفارس قصص الغناء . عن مســـاوىء الكذب . أحاول أن أثير اهتمامها . أســـألها عن حالها وهل السنة كانت طيبة بالنسبة لتغيير الريش أو لوضع البيض وهل الرقاد على البيض يتعبها . لا فائدة . انها لا تتنازل .

أوجست : يدهشنى هذا التصرف يا سيدى من القبرة . فهى تحب الافضاء بأسرارها .

الفــارس : الحلقة المعدنية فى رقبة الفارس تمنعه من الكلام الى القبرة .

أوجست : ولكن من ذا الذى استطاع اذن أن يدفعك الى هذه المنطقة التى لم يعد منها الا القليل جدا ؟

الفارس : من تريدها أن تكون : امرأة .

اوجست : لن أستجوبك يا سيدى .

الفارس : لا عليك . ستستجوبنى وفى الحال ! ها قد مر ثلاثون يوما ، وأنا لم أتحدث عنها يا أوجست ! لا يمكنك أن تفكر فى أننى سأدع فرصة الكلام تفوتنى أخيرا وقد قابلت شخصين ! .. استجوب ! اسألنى عن اسمها ، سريعا ..

اوجست : سيدى ..

الفارس : اسأل عنه اذا كنت ترغب فى معرفته !

اوجست : ما هو اسمها ؟

الفارس : تدعى برتا ، أيها الصياد ! ما أجمله من اسم .

اوجست : رائع بكل صراحة .

الفارس : الأخريات يدعون : أنجليك ، ديان ، فيولنت ! الجميع يمكنهم أن يسموا أنجليك ، ديان ، فيولنت . أما هى وحدها فتستحق هذا الاسم الصارم ، الرنان ، المؤثر .. وتريدين بدون شك أن تعلمى ما اذا كانت جميلة يا أوجينى ؟

اوجينى : (تدخل) ما اذا كانت جميلة ؟

اوجست : يحدثونك عن برتا ، الكونتسه برتا يا زوجتي المسكينة ؟

اوجيني : آه نعم ! هل هي جميلة ؟

الفارس : أوجيني ، ملكنا اختارني لأشتري له جياده ، وهذا لأقول لك انني أظل حريصا كبائع الجياد حتى مع النساء . لا يفوتني أي نقص . انجليك التي ذكرتها ظفر ابهامها الأيمن به خطوط . فيولنت عندها ترترة ذهبية في عينها . كل شيء في برتا كامل .

اوجيني : انك تراها في منتهى السعادة .

اوجست : لابد وأن يكون هذا جميلا ، ترترة ذهبية في العين ؟

اوجيني : فيم تدخلك يا أوجست ! ..

الفارس : الترترة ؟ لا تعتقد هذا يا مضيفي العزيز . يوما ، أو يومين أو ستسليك هذه الترترة ؟ ستتسلى بأن تقرب وجه فيولنت تحت القمر ، ستقبلها قرب المشاعل .. وفي اليوم الثالث ستكرهها وستفضل ذبابة صغيرة داخل عين زوجتك !

اوجست : ما شكلها ؟ هل هي كحبة الميكا ؟

اوجينى : انك تضغط على أعصابنا بثرثرتك ؟ دع الفارس يتكلم .

الفارس : صحيح يا أوجست ! لماذا تتحيز لفيولنت هذه ! فيولنت اذا تبعتنا الى الصيد تجرح الفرس البيضاء فى ركبتها . تكون جميلة الفرس البيضاء الجريح خاصة اذا داوا جرحها بالفحم ! فيولنت اذا حملت شمعدانا للملكة تجد الوسيلة لتنزلق وتفترش بلاط الأرض . فيولنت اذا أمسك بيدها الدوق العجوز وقص عليها قصة مرحة تشرع فى البكاء ..

أوجست : فيولنت ؟ تشرع فى البكاء ؟

الفارس : على حد معرفتى بك أيها العجوز أوجست ، ستسألنى عن مصير الثرثرة فى العين عندما يبكى الانسان ؟

اوجينى : لابد وأنه كان يفكر فى هذا يا سيدى . انه عنيد جدا .

الفارس : سيفكر فيها الى أن يحين اليوم الذى يرى فيه برتا .. لأنكما ستحضران زواجنا يا مضيفى العزيزين ! اننى أدعوكما ! برتا لم تشترط

لزواجنا الا آن أعود من هذه الغابة . واذا عدت
منها فهذا بفضلكم وسترى عندئذ قيولنت التى
أثارت اهتمامك أيها الصـــياد بفمها الكبير
وأذنيها الدقيقتين وأنفها الاغريقى الصغير ،
ســترى ما يمكنها أن تكون هذه الكـستائية
بجانب هذا الملاك الأسود العظيم ! .. والآن
يا عزيزتى أوجينى اذهبى وأحضرى لى سـمكتى
المسلوقة والا نضجت أكثر مما يجب !
(يفتح الباب ، وتظهر اوندين) .

المنظر الثـالث

نفس الأشخاص ــ اوندين

اوندين : (من الباب حيث وقفت بلا حراك) ما أجملك !

اوجست : ماذا تقولين أيتها الصغيرة الفاجرة ؟

اوندين : أقول : ما أجمله !

اوجست : انها ابنتنا يا سيدى . انها لا تعرف الأصول .

انها فى الخامسة عشرة من عمرها أيها الفارس
أرجو أن تغفر لها ..

انك تضايقين ضيفنا ..

اوندين : انني لا أضايقه على الاطلاق .. انني أعجبه ..
ألا ترى كيف ينظر الي .. ما اسمك ؟

اوجست : لا ترفعي الكلفة مع الأسياد يا طفلتي المسكينة .

الفارس : هانز ..

اوندين : كان يجب أن أخمن . عندما نكون سعداء ونفتح فمنا نقول هانز ..

اوندين : ما أجمله من اسم ! ما أجمل الصدى داخل الاسم ! .. لماذا أنت هنا ؟ .. لتأخذني ؟ ..

اوجست : هذا يكفي .. اذهبي الى غرفتك ..

اوجيني : ها هي سمكتك المسلوقة يا سيدى . كلها . هذا أفضل لك من الاستماع الى ابنتنا المجنونة ..

اوندين : سمكته المسلوقة !

الفارس : انها رائعة .

اوندين : هل جرؤت على عمل سمكة مسلوقة يا أماه ! ..

اوجيني : اسكتى . على كل حال فقد أعدت ..

اوندين : آه يا سمكتى العزيزة ، أنت التى منذ مولدك كنت تسبحين نحو المياه الباردة !

اوجست : لن تبكى من أجل سمكة !

اوندين : يقولون انهم والداى .. ثم يصطادونك .. ويلقون بك حية فى المياه المغلية !

الفارس : أنا الذى طلبت هذا يا فتاتى الصغيرة .

اوندين : أنت ؟ .. كان يجب أن أشك فى هذا .. عند النظر اليك من قرب يمكن تخمين كل شىء .. أنت حيوان ، أليس كذلك ؟

اوجيني : سامحنا يا سيدى !

اوندين : أنت لا تفهم شيئا فى أى شىء ، أليس كذلك ؟ هذه هى الفروسية ، هذه هى الشجاعة ! ..

تبحث عن مردة لا وجود لها على الاطلاق ،
واذا قفز كائن حى صغير فى المياه العذبة تطلب
سلقه فى الماء المغلى !

الفارس : وآكله يا طفلتى ! وأجده لذيذا !

اوندين : سترى كم هو لذيذ .. (تلقى بالسمكة من النافذة) كلها الآن .. وداعا ..

اوجينى : الى أين يا صغيرتى !

اوندين : يوجد فى الخارج هنا شخص يكره الرجال ويريد أن يخبرنى بما يعرفه عنهم .. كنت دائما أصم عنه أذنى ، كانت عندى فكرتى .. انتهينا ، سأستمع اليه ..

اوجينى : ستخرج ثانية فى هذه الساعة !

اوندين : بعد دقيقة واحدة سأعرف كل شىء ، سأعرفهم ، سأعرف كل شىء عنهم ، وكل ما يستطيعون عمله . تبا لكم ..

اوجست : هل يجب أن أمنعك بالقوة ؟

(تتحاشاه بقفزة) .

اوندين : كنت أعرف أنهم يكذبون ، ان الجميل فيهم

قبيح والشــــجاع منهم جبان .. أعرف أنني
أمقتهم !

الفـارس : هم سيحبونك أيتها الصغيرة ..

اوندين : (دون أن تلتفت ولكن تتوقف) ماذا قال ؟

الفـارس : لا شيء .. لم أقل شيئا .

اوندين : كرر ما قلت لنرى !

الفـارس : هم يحبونك يا صغيرة .

اوندين : أنا ، أكرههم .

(تختفي في ظلام الليل) .

المنظر الرابع

الفارس . اوجست . اوجينى

الفـارس : تهانى . انكم تحسنون تربيتها ..

اوجست : يعلم الله أننا نؤنبها على كل غلطة .

الفـارس : يجب ضربها .

اوجينى : اذهب وحاول الامساك بها !

الفـارس : يجب حبسها ومنع الحلوى عنها .

اوجست : انها لا تأكل شيئا .

الفـارس : انها محظوظة . انتى أموت من الجوع . أعدى لى سمكة أخرى مسلوقة . لا لشىء الا لمعاقبتها .

اوجست : كانت السمكة الأخيرة يا سيدى .. ولكننا دخنا لحم الخنـــزير وستقطع لك أوجينى بعض الشرائح ..

الفـارس : هل تسمح لكم بذبح الخنازير ؟ هذا جميل جدا !

(تخرج أوجينى) .

اوجست : لقد ضايقتك أيها الفارس . انتى فى غاية الاستياء .

الفارس : لقد ضايقتنى لأنتى حيوان كما قالت . فى الحقيقة يا صديقى العجوز نحن الرجال كلنا متشابهون . مغرورون مثل طائر الغرغر . عندما كانت تقول انتى جميل كان هذا يعجبنى منها وأنا أعلم أننى لست جميلا . وضايقتنى عندما قالت انتى جبان وأنا أعلم أننى لست جبانا ..

اوجست : أنت طيب جدا لأخذك الأمر على هذا النحو .

الفارس : انتى لا آخذه على نحو جيد .. انتى غاضب . انتى دائم الغضب نحو نفسى عندما يخطىء الآخرون !

اوجينى : لا أجد لحم الخنزير يا أوجست .

يلحق بها أوجست .

المنظر الخامس

الفـــارس . اوندين

عادت أوندين فى هـــدوء الى المـائدة خلف الفارس الذى يمد يده نحو النار فى بادىء الامر لا يلتفت .

اوندين : أنا يدعونى أوندين .

الفـارس : اسم جميل .

اوندين : هانز وأوندين .. هذان أجمـل اســـمين فى الوجود ، أليس كذلك ؟

الفـارس : أو أوندين وهانز .

اوندين : أوه لا ! هانز أولا . انه الفتى . يذكر اســمه أولا .. وهو الذى يأمر . أوندين هى الفتاة . يجب أن تكون خطوة الى الخلف .. وتلتزم الصمت .

الفـارس : تلتزم الصمت ! بحق الشـيطان كيف يمكنها ذلك !

اوندين : هانز يســـبقها بخطـوة فى كل مكان .. فى الاحتفالات .. عند الملك .. فى الشيخوخة .

هانز يموت أولا .. هذا فظيع .. ولكن أوندين تلحق به سريعا .. تقتل نفسها ..

الفارس : ما هذا الذى تقولين ؟

اوندين : هناك لحظة فظيعة يجب أن أمر بها . الدقيقة التى تلى موت هانز .. ولكنها ليست طويلة ..

الفارس : من حسن الحظ أن الكلام عن الموت لا يلزمك بشىء فى مثل سنك ..

اوندين : فى مثل سنى ؟ .. أقتل نفسك لترى . سترى ما اذا كنت لن أقتل نفسى ..

الفارس : لم أكن فى حياتى أقل رغبة فى قتل نفسى من الآن ..

اوندين : قل لى انك لا تحبنى ! سترى ما اذا كنت لن أقتل نفسى ..

الفارس : كنت تجهليننى منذ ربع ساعة مضت ، وتريدين الموت من أجلى ؟ كنت أظن أننا متخاصمان من أجل السمكة ؟

اوندين : دع السمكة وشأنها ! هذا النوع غبى قليلا ، ما كان عليها الا أن تتجنب الرجال ، اذا أرادت

أن تتفادى الشرك . أنا أيضا غبية . أنا أيضا وقعت فى الشرك ..

الفـارس : على الرغم مما قاله لك صديقك المجهول هناك فى الخارج عن الرجال ؟

اوندين : قال لى سخافات .

الفـارس : فهمت الآن . كنت تسألين وتجيبين ..

اوندين : لا تمزح .. انه ليس ببعيد .. وهو مخيف ..

الفـارس : لن تجعلينني أعتقد أنك تخافين من أحد أو من شىء ؟

اوندين : نعم أخـــاف أن تهجـــرنى .. قال لى انك ستهجرنى . ولكنه قال لى أيضا أنك لست جميلا .. وبما أنه أخطأ فى هذه يمكنه أن يخطىء فى تلك .

الفـارس : أنت ، ما شكلك ؟ جميلة أم قبيحة ؟

اوندين : هذا يتوقف عليك ، على ما ستفعله بى . أفضل أن أكون جميلة ، أفضل أن تحبنى .. أفضل أن أكون أجمل واحدة ..

الفـارس : يا لك من كاذبة صغيرة .. لم تكونى الا أكثر

جمالا منذ قليل عندما كنت تكرهينني .. هذا كل ما قاله لك ؟

اوندين : قال لى كذلك اننى اذا قبلتك سأحلك .. وقد أخطأ فى هذا .. فلم آكن أفكر فى تقبيلك .

الفـارس : فكرى فى ذلك من بعيد .

اوندين : ما أحلى الانتظار .. .. ستتذكر هـــذه اللحظة فى المســتقبل .. اللحظة التى لم تقبلنى فيها ..

الفـارس : يا صغيرتى أوندين ..

اوندين : اللحظة التى لم تقل لى فيها أيضا انك تحبنى .. لا تنتظر بعد الآن ..

الفـارس : هل تظنين أن هذا يقال هكذا ، اننـا نحب بعضنا ؟

اوندين : تكلم ! آؤمر ! ما أبطأ الرجال !

الفارس : انك مجنونة ! وذراعاى ؟ هل تعتقدين أنهما تفتحان لأول طارقة ؟

اوندين : لدى طريقة لأجعلك تفتح ذراعيك .

(الفارس يغلب على أمره فجأة ويفتح ذراعيه)

اوندين : ولكى تضمهما .

يضم ذراعيه . صوت امرأة يعلو فى الخارج .

الصوت : أوندين !

اوندين تلتفت غاضبة نحو النافذة .

اوندين : هلا سكت ! من ذا الذى يحدثك ! ..

الصوت : أوندين !

اوندين : هل أتدخل فى شئونك ؟ هل استشرتنى عند زواجك !

الصوت : أوندين !

اوندين : ومــع ذلك فزوجك عجل البحر جميل بثقوبه الأنفية من غير أنف ! عقد من اللآلىء وتغلب عليك ! .. وحتى اللآلىء لم تكن متناسقة .

الفـارس : الى من تتحدثين يا أوندين ؟

أوندين : الى بعض جاراتى .

الفـارس : كنت أظن منزلكم منعزلا .

اوندين : الحساد موجودون فى كل مكان . انهم يغارون منى ..

صوت رجل : أوندين !

اوندين : وأنت ! لأن الحوت صنع أمامك نافورة ماء ارتميت بين زعانفه !

الفـارس : هذه الأصوات ساحرة .

اوندين : ان اسمى هو الساحر وهم ينطقون به ! .. قبلنى يا هانز ، حتى اختلف الى الأبد عنهن .. على العموم لا تملك الخيار ! .. .

صوت رجل : أوندين !

اوندين : فات الوقت اذهب لسبيلك !

الفـارس : الصديق الذى كنت تتحدثين عنه ؟

صوت رجل : أوندين !

اوندين : انني لم أعد أسمعك . لم نعد نسمعك من هنا .. وعلى العموم فات الوقت .. وحــدث ما حـــدث .

يسمع صوت عند باب المطبخ .

الفــارس : (وهو يدفع بلطف أوندين .....) هاهما والداك يا أوندين .

اوندين : آه ! هل كنت تعرفها ؟ يا للخسارة . لم أكن أعرف أنني علمتك اياها !

الفــارس : ماذا يا سيدتي الصغيرة ؟

اوندين : الطريقة التي تفتح بها ذراعيك ..

المنظر السادس

اوندين . الفارس . الوالدان

اوجيني : اننا فى شدة الأسف ! لقد أضعنا لحم الخنزير !

اوندين : كنت قد أخفيته لأظل بمفردى مع هانز ..

اوجست : ألا تخجلين !

اوندين : كلا ! اننى لم أضع وقتى . سيتزوجنى يا والدى العزيزين ! الفارس هانز يتزوجنى !

اوجست : ساعدى والدتك بدلا من هذا الكلام الفارغ .

اوندين : هو ذا . اعطنى المفرش يا أماه . أنا التى سأخدم هانز . من هذه اللحظة أنا خادمة سيدى هانز

اوجست : لقد أخرجت زجاجة من القبو أيها الفارس . اذا سمحت لنا سنشرب معك بعد لحظة .

اوندين : مرآة يا سيدى هانز ، لترتب شعرك قبل العشاء ؟ ..

اوجيني : من أين لك بهذه المرآة الذهبية يا أوندين ؟

اوندين : ماء ليديك يا صاحب الجلالة هانز ؟

الفــارس : ما أروعه ابريقا للماء ! الملك لا يملك واحـدا مثـله ..

اوجست : هذه أول مرة نراه فيها ..

اوندين : سيستوجب هذا يا سيدى هانز أن تعلمنى كل الخـدمات المطلوبة منى . يجب أن أكون من مطلع الشمس الى مغيبها خادمتك المثالية .

الفــارس : من مطلع الشمس الى مغيبها يا صـــغيرتى أوندين ! أن توقظينى سيكون أصعب الأمور ان نومى ثقيل ..

اوندين : (جالسة بجانب الفارس وملتصقة به) يا له من حظ ! قل لى كيف يشدون شعرك ليخرجوك من سباتك ، كيف يفتحون عينيك بأيديهم بينما تقاوم رأسك .

اوجينى : أوندين الأطباق !

اوندين : أوه يا أماه ، أعدى أنت المائدة . السيد هانز يعلمنى ما يجب على أن أفعله عند ايقاظه .. فلنبدأ من جديد يا سيدى هانز ! افعل كما لو كنت نائما ..

الفـارس : مع هذه الرائحة الشهية من المطبخ ، مستحيل !

اوندين : استيقظ يا صغيرى هانز .. الفجر هنا ! خـذ هذه القبلة فى مسائك وهذه القبلة فى صباحك..

اوجست : لا تغضب منها بسبب تصرفات الأطفال هـذه يا سيدى ..

اوجينى : انها صغيرة ، ولهذا تتعلق ..

الفـارس : هذا هو ما أسميه لحم الخنزير .

اوجست : انه أيها الفارس مدخن بالعرعر .

اوندين : لقد أخطأت عنـدما أيقظتك ! لماذا نوقظ من نحب ؟ فى سباتهم كل شىء يدفعهم نحـــونا ! وحالما يفتح عينيه يهرب منا ! نم ، نم يا سيدى هانز ..

الفـارس : أرغب شريحة أخرى .

اوندين : كم أنا سيئة التصرف ! أتيك بدلا من أن أوقظك .. وفى المساء ، كما أعـرف نفسى ، سأوقظك بدلا من تنويمك .

اوجينى : أى نعم ! ستصبحين سيدة بيت رائعة .

اوجست : بعض الهدوء يا أوندين ، أريد أن أقول كلمة .

اوندين : بكل تأكيد سأكون سيدة بيت رائعة ! هـل

تعتقدين أنك سيدة بيت رائعة لأنك تعرفين تحمير لحم الخنزير ! ليس هذا هو المطلوب فى سيدة البيت !

الفارس : آه نعم ! ماذا ؟

اوندين : هو أن أكون كل ما يحب سيدى هانز ، كل كيانه . هو أن أكون أجمل ما يمكن وأبسط ما يمكن . سأكون حذاؤك يا زوجى ، سأكون تنفسك ، سأكون مقدمة سرجك ، سأكون دموعك وأحلامك .. ما تأكله هنا الآن هو أنا ..

الفارس : انه مملح بالدرجة المطلوبة . انه ممتاز ..

اوندين : كلنى أنا ! كلنى كلى !

اوجينى : والدك يتكلم يا أوندين !

اوجست : (يرفع كوبه) سيدى ، بما أنك تشرفنا بقضاء الليلة فى منزلنا ..

اوندين : عشرة آلاف ليلة .. مائة ألف ليلة ..

اوجست : اسمح لى أن أتمنى لك أعظم نصر حصل عليه فارس ، وأن نشرب نخب من تحب ..

اوندين : كم أنت لطيف يا أبى ! ..

اوجست : نخب من تنتظرك فى قلق ..

اوندين : لم تعد تنتظر .. انتهى القلق ..

اوجست : والتى تحمل هذا الاسم الذى أعلنت أنه أجمل اسم بين جميع الأسماء . ومع أننى أحب اسم فيولنت ، لكننى أتحيز قليلا لفيولنت بسبب ..

اوجينى : نعم ، نعم ، اننا نعرف ، أكمل ..

اوجست : نخب أجمل الجميلات ، نخب أكثرهن وقارا ، نخب الملاك الأسود كما تسميها نخب برتا ، سيدتك !

اوندين : (وقد وقفت) ماذا تقول ؟

اوجست : أقول ما قاله لى الفارس بنفسه !

اوندين : أنت تكذب ! انه يكذب ! اسمى برتا الآن !

اوجينى : لست أنت المقصودة يا عزيزتى !

اوجست : الفارس مخطوب الى الكونتسة برتا . سيتزوجها عند عودته . أليس كذلك أيها الفارس ؟ الجميع يعرفون هذا ..

اوندين : الجميع يكذبون .

الفارس : يا صغيرتى أوندين ..

اوندين : ها قد أفاق من لحم خنزيره ! هل توجد برتا نعم أو لا ؟

الفـارس : دعيني أشرح لك !

اوندين : هل توجد برتا نعم أو لا ؟

الفـارس : نعم توجد برتا ! كانت توجد برتا .

اوندين : هكذا ، اذن فقد صدق الآخر فيما قاله لى عن الرجال ! يغرونك بآلاف الحيل وبعد ذلك يفكرون فى امرأة سوداء تدعى برتا .

الفـارس : لم أفعل شيئا من هذا يا أوندين !

اوندين : (وهى تعض ذراعها) لقد فعلته ! وما زلت أتألم منـه .. انظرا يا والدى الى هـذه العضة فى ذراعى ، انه هو فاعلها !

الفـارس : لن تصدقوا شيئا من هذا ، أيها النـاس الطيبون ؟

اوندين : ساكون أجمل ما فيك وأبسط ما فيك .. هذا ما كان يقوله . سـاكون قدميك الحافيتين . ساكون ما تشربين ، ساكون ما تأكلين .. هذا ما قاله بالحرف الواحد يا أماه ! وما يجب على فعله من أجله ! ان أمضى النهار حتى منتصف

الليل لايقاظه ، أموت من أجله فى اللحظة التى تلى موته ! .. أطلبت منى هذا ، نعم أو لا ! وفى نفس الوقت يحملون فى قلوبهم صورة لامعة لشيطانه يسمونها ملاكهم الأسود ..

الفارس : عزيزتى أوندين !

اوندين : أنت هو الذى أحتقره ، أنت هو الذى ألفظه !

الفارس : استمعى الىّ ..

اوندين : أراه من هنا ، الملاك الأسود ، بظل شاربه . أراه عاريا الملاك الأسود بجسده المشعر . هذا النوع من الملاك الأسود له ذيل أجعد فى تجويف كليتيه . هذا شىء معروف .

الفارس : سامحينى يا أوندين ..

اوندين : لا تقربنى .. سأقذف بنفسى فى البحيرة .

تفتح الباب . المطر يهبط فى الخارج بغزارة .

الفارس : (واقفا) أعتقد انه لا توجد برتا بعد الآن يا أوندين !

اوندين : هكذا ! خن برتا كذلك ! .. ان والدى المسكينين يحيران خجلا من تصرفك .

أوجست : لا تصدقا يا سيدى ! ..

اوندين : غادر هذا المنزل فى الحال ، أو لن أعود هنا أبدا .. (تلتفت) ما الذى جرؤت على قوله توا ؟ ..

الفارس : أعتقد أنه لا توجد برتا بعد الآن يا أوندين !

اوندين : انك تكذب . وداعا !

(تختفى)

الفارس : أوندين !

يجرى ليبحث عن أوندين .

اوجست : لقد أحسنت عملا .

اوجينى : نعم .. لقد أحسنت العمل .

اوجست : ولكن خير لنا أن نخبره بكل شىء .

اوجينى : نعم بكل تأكيد يستحسن أن نقول له كل شىء .

المنظر السابع

الفارس . اوجست . اوجينى

الفارس : ليست ابنتكم أليس كذلك ؟

اوجينى : لا يا سيدى .

اوجست : كانت لنا ابنة . اختطفت فى الشهر السادس من عمرها .

الفارس : من الذى استودعكم أوندين ؟ أين يقيم الذى أودعها عندكم ؟

اوجست : وجدناها على حافة البحيرة . ولم يطالب بها أحد .

الفارس : اذن بالاختصار علىّ أن أطلب يدها منكم ؟

اوجينى : انها تدعونا والديها يا سيدى .

الفارس : يا أصدقائى ، اننى أطلب منكم يد أوندين !

اوجست : سيدى ، هل أنت فى وعيك الكامل !

الفارس : فى وعيى الكامل ! لن تدعى أن هذا القدر القليل من خمرك قد أدار رأسى !

اوجست : أوه لا ! انها خمرة خفيفة .

الفارس : لم أكن أبدا أكثر وعيا من الآن . لم أعلم فى حياتى ما أقوله خيرا مما أقوله الآن . اننى أطلب منك يد أوندين وأنا أفكر فى يد أوندين . أريد أن أمسك بهذه اليد . أريد أن تقودنى هذه اليد فى يوم عرسى ، فى معاركى ، فى مماتى ..

اوجست : لا يمكن أن يكون للمرء خطيبتان يا سيدى .. هذا يجعل الأيدى كثيرة جدا ..

الفارس : من هى الخطيبة الأولى ، برتا ربما ؟

أوجست : أنت الذى أخبرتنا بذلك .

الفارس : هل تعرف برتا لتدافع عنها هكذا ؟ أنا أعرفها . أعرفها منذ أن رأيت أوندين .

اوجست : منك أنت علمنا أنها كاملة .

الفارس : نعم ، اذا استثينا هذه الرغوة فى زوايا شفتيها وهذه الضحكة الحادة ، تكون كاملة .

اوجست : كنت أعتقد أن الفارس المتجول مبدأه الأول أن يكون مخلصا ..

الفارس : مخلصا للمغامرة ، نعم . وسأكون الأول فى هذا لأننا نحن الفرسان المغامرين حتى هـذا اليوم كنا سذجا . كنا نكتشف قصورا ونعود

لتسكن فى قلاع » كنا نخلص أندروميد ليكون
لنا الحق فى خلوة . عندما نصل الى الستين .
كنا نغتصب كنوز العمالقة وكان هذا يعفينا من
الصيام أيام الجمعة .. بالنسبة لى انتهى !
لن تكون المغامرة تدريبا على الفروسية والخيال
يفرض على كل من يريد أن يصبح تائبا عاما .
من الآن فصاعدا سأكتشف سأنهب ، سأتزوج
على حسابى : سأتزوج أوندين ..

اوجست : انك مخطىء فى هذا !

الفارس : مخطىء ؟ أجبنى بصراحة أيها الصياد ! لو كان
هناك فارس يبحث فى هذا العالم عن شىء
لم يستعمل » غير عادى ، غير متآكل . ووجد
على حافة البحيرة فتاة تدعى أوندين تحول الى
الذهب أطباق القصدير . تخرج فى العاصفة
دون أن تبتل ، لم تكن فقط أجمل فتاة رآها
فى هذا العالم وانما كان يشعر أنها هى الفرحة
وهى الحنان والتضحية . كان يشعر أنها
تستطيع أن تموت من أجله وتقوده الى النجاح
الذى لم يكن ليحققه مع غيرها . تمر من النار ،

تغطس فى الأعماق وتطير .. فحياها من كل قلبه وعاد ليتزوج من فتاة سوداء تدعى برتا !!! من كان هذا الرجل ؟

اوجست : انك لا تحسن توجيه السؤال .

الفـارس : بل أسألك من كان .. ولا تجرؤ أن تجيبنى . أبله أليس كذلك ؟

اوجينى : لقد سبق لك أن وعدت بالزواج يا سيدى .

الفـارس : يا عزيزتى أوجينى ، انك لا تفكرين حتى فى سؤالى عما اذا كنت سأعود لأتزوج برتا اذا رفضتم طلبى .

اوجست : اذا كانت برتا تحبك أيها الفارس فستتعلم هى الأخرى السباحة والغطس والطيران .

الفـارس : كل هذا ما هو الا كلام . عندما تحبك فتـاة لا تصبح الا أكثر بلاهة وأشد بللا تحت المطر ويزداد تعرضها للزكام ولزلات القدم . يكفى أن ترى منظر العروسة الولهانة فى الكنيسة .. ويتساءل الزوج من أين جاء فجأة هذا التغير الفظيع : هذا لأنها تحب ..

اوجينى : تكلم يا أوجست !

الفارس : تكلم ! اذا كان لديك سبب لتمانع فى طلبى لأوندين قله لى !

اوجست : سيدى ! انك تطلب منا أوندين ، انه لشرف لنا . ولكننا سنعطيك ما ليس لنا ..

الفارس : هل تشك فيمن يكون والدها ؟

اوجست : المسألة ليست مسألة والدين وخاصة مع أوندين هذه المسألة لا قيمة لها . اذا لم نكن نحن قد تبنينا أوندين كانت ستجد بدوننا الوسيلة لتكبر وتعيش . لم تحتج أوندين الى مداعباتنا ولكن ما ان تمطر السماء حتى يستحيل علينا ابقاؤها فى المنزل . لم تحتج قط الى سرير ، ولكن كم من مرة فاجأناها وهى نائمة على البحيرة . هل هذا لأن الأطفال يخمنون بغريزتهم الطبيعية ، هل هذا لأن طبيعة أوندين هى الطبيعة نفسها : ان ثمة قوى هائلة حول أوندين !

الفارس : هذا لأنها فى فورة الشباب !

اوجست : هل تعتقد هذا ! عندما تزوجتك يا عزيزتى أوجينى كنت فى مثل سنها ، كنت أنت أيضا

جميلة وشجاعة وكانت البحيرة كما عرفتها دائما منفرجة ومسورة ، والفيضان لم يكن الا أقل الأشياء ذكاء ، وكانت العاصفة متوحشة . منذ أن عرفت أوندين تغير كل شيء ..

الفارس : هذا لأنك أصبحت صيادا أكثر مهارة . ذلك لأنك أصبحت عجوزا .

اوجست : بحيرة لا تفسد شباكك أبدا وتعطيك دائما حاجتك من السمك ، لا واحدة أقل ولا أكثر ، مياهها لا تدخل فى قاربك حتى اذا كان فى قاع هذا القارب ثقب لم تلحظه كما حدث البارحة ، هذا شيء غير طبيعى ! ثقوب القارب تسد بالماء ، هذه أول مرة يحدث لى فيها ذلك ..

الفارس : الأم تريد الوصول ؟ الى أن أطلب يدها من البحيرة ؟

اوجست : لا تمزح !

الفارس : أن تصبح جميع بحيرات العالم أصهارا لى وجميع أنهار العالم حمواتا لى ! أقبل هذا بكل سرور ! فأنا أنسجم جدا مع الطبيعة .

اوجست : حذار ! حقيقة لا تحب الطبيعة أن تغضب من الانسان . عندها فكرة عنه فى صالحه ، شيء

فيه يأسرها أو يسلبها . انها تفخر بمنزل جميل
وبقارب جميل كما يفخر الكلب بالطوق حول
رقبته . تسمح له بما لا تقبله من أى نوع آخر ،
وتعانى المخلوقات الأخرى من تمس التهديد كل
ما هو لاذع وسام فى الزهور والزواحف ،
عند اقتراب الانسان منه يفر الى الظلام ،
والا دل عليه لونه . ولكن اذا فقد الانسان
مرة واحدة رضاء الطبيعة ، فهذا هو الضياع !

الفارس : وسأفقد رضاءها بزواجى من أوندين ؟ لم
لم تفقد رضاءها أنت عندما تبنيتها ؟ اعطونى
أوندين يا أصدقائى !

اوجست : نعطيك أوندين ! أين هى فى هذه اللحظة
أوندين ! هل ستعود حقا أوندين ! كثيرا
عندما تختفى كنا نظن أن اختفاءها سيكون
الى الأبد ! وانظر وابحث لم يبق أى أثر منها !
لم تطلب منا أبدا أية ملابس غير التى ترتديها ،
لم يكن عندها أبدا لعب ولا صناديق .. عندما
تذهب يذهب كل شىء منها . عندما تذهب
لا تعود أبدا . ان أوندين حلم ! لا توجد

أوندين . هل تعتقدين أنت فى وجود أوندين يا أوجينى ؟

اوجينى : أعتقد أنك بدأت تفقد صوابك ، يا أوجست المسكين . هذا من تأثير الخمر .. انها خائنة .. هذا كحاله مع الترترة الذهبية .

اوجست : آه من أجل هذه الترترة !

الفـارس : انك تخطرف فيما يخص الترترة . فيما يخص أوندين ها أنذا أتساءل الآن اذا لم تكن على حق .. انني مثلك .. انني فى حلم ..

اوجست : انى أتذكر بدون شك أنى رأيت صـغيرتى أوندين . انى أذكر صـوتها وضحكتها . مازلت أراها وهى تقذف سمكتك التى تزن ربع كيلوجرام ، ولكنها لن تظهر بعـد الآن ، لن تعطينا اشاراتها الا عن طريق ضـوء البرق والعواصف الصغيرة ، لن تقول لنا انها تحبنا الا عن طريق الأمواج وهى تتقاذف على أقدامنا ، وقطرات المطر على وجوهنا ، أو سمكة من البحر فى سلتى الخاصة بأسماك الأنهار الحلوة ان هذا لن يدهشنى ..

اوجينى : معذرة يا سيدى ! ما من مرة يشرب فيها الا ويبدأ فى الهذيان !

اوجست : ولم أقل كل شىء لفارسنا ! كيف كان حصى الشاطىء ورماله حول مهد أوندين حيث وجدناها ! كان عليها آثار حبيبين قاما لتوهما من على الرمال . وكانت هذه الآثار كثيرة مائة لا ألفا .. كما لو كان ألف زوج من الأحبة تعانقوا على شاطىء البحيرة وكانت أوندين ابنتهم ..

اوجينى : ها قد بدأ من جديد !

اوجست : ولم يكن هناك أثر لابهام قدم ، هل تسمعنى ! مئات الأجسام ولا قدم واحدة ! ..

اوجينى : اسمح لنا بالذهاب للنوم يا سيدى !

اوجست : بصمات حديثة كلها مفروشة بالصدف والميكا ..

اوندين : عدنا ثانية الى الميكا ! انه متعب حا .. تعالى يا أوجست ! سنتكلم عن أوندين غدا .

اوجست : اذا عادت !

الفارس : عادت أو لم تعد .. سأنتظرها ..

(يتمدد فى مقعده) .

المنظر الثامن

الفارس ثم اوندين

داخل الكوخ يصبح شفافا وتظهر احدى جنيات البحر

الجنية : خذنى أيها الفارس الجميل .

الفارس : ماذا ؟

الجنية : قبلنى !

الفارس : تقولين ؟

الجنية : قبلنى أيها الفارس الجميل .

الفارس : أقبلك ؟ لماذا ؟

اوندين : (تظهر فجأة) كم أنت محـــدودة التفكير ! ما أغبى منظرك !

تختفى جنية البحر .

الفارس : (يأخذ أوندين بين ذراعيه) يا صـــغيرتى أوندين ، ما هذه المهزلة !

اوندين : انها احـــدى هـــذه الجارات الغيورات .
مع أول امرأة تقابلها وان أية ساقطة يمكنها ان تغريك ..
انهن لا يريدوننى أن أحبـك ! يقولون انك ستخوننى !

الفـارس : فليأتوا يا حبيبتى الغالية !

(رؤيا جديدة) .

الجنية : لا تأخذنى !

الفـارس : ماذا تقول هذه الأخرى الآن ؟

الجنية : لا تأخذنى أيها الفارس الجميل ! لا آكل من هذا الخبز !

الفـارس : من أى خبز ؟

اوندين : بما أن الفجور لم يهزمك فهن يدعين أنك بالحياء سرعان ما تقع فى حبائلهن .. يقولون ان جميع الرجال المساكين هم كذلك ..

الفـارس : لا بأس بهذه . هل هى أجمل من سيرسلون بها الى ؟

اوندين : لا ! انها أكثرهن ذكاء .

(الجنية تختفى وتظهر اخرى) .

الفـارس : وواحدة أخرى أيضا !

اوندين : آه ! لا ! لم تعد هذه لعبة ! لم يكن ليحق لكن أن تأتين أكثر من اثنتين .

الفـارس : دعيها ، انها تتكلم ..

اوندين : فلتذهب ! انها أغنية الثلاث أخوات . لا يستطيع مقاومتها أحد من جان البحر .

الفـارس : تكلمى أيتها الكائنة الصغيرة !

(الجنية الثالثة) .

هانز ويتنشتين زتسوو ويتنشتين
بدونك تصبح الحياة قبرا
كل ما تملكه ملك لى
اعشقنى ولا تذقنى هجرا

الفـارس : أجدت . ان هذا لساحر !

اوندين : فيم هو ساحر ؟

الفـارس : انه بسيط ، انه ساحر . لابد وأن هذا هو غناء جنيات البحر .

اوندين : انه هو بالفعل ! لقد قلدوه ! .. ها هى الأخت الثانية ! لا تستمع اليها !

(جنية ثانية تصطف بجانب الأولى) .

الفارس : ألا تثقين بى ؟

اوندين : آه يا حبيبى ، لا تستمع اليها !

الفارس : لم تكن أربطة أو ليس شيئا بجانب ذراعيك !

اوندين : هيا أنت ! ابدئى ! واسرعى .

(الجنية الرابعة) .
احيانا افكر فيك بقوة
فتتقلب على فراشك
وتقبلنى وأنت نائم
فتحيينى من الموت

اوندين : انتهى ، أليس كذلك ؟

الفارس : لا لم تنته بعد احسن الحظ ! ها قد أتت الثالثة .

اوندين : ألا ترى أنه ليس لها سيقان . ساقان منفصلتان.. ألا ترى أن لها ذيلا .. اطلب منها أن تخطو خطوة واسعة لترى .. أما أنا ، فانى أنثى حقيقية .. أنا أستطيع أن أفعل هذا .. انظر !

الفارس : ما هذا الذى تقولين ! تفضلى يا آنسة !

اوندين : اذا كنت تعتقد أنه مبهج أن تسمع من الآخرين ما تفكر فيه ولا تستطيع أن تقوله .

الفـارس : انه نصيب جميع الرجال ما عدا فولفرام فون اشنباخ فهو وحده يستطيع أن يقول ما لا يفكر فيه .. صه !

الأخت الخامسة للجنيات .
فى المساء عندما اوقد النار
وعندما يدخل الراعى وكلابه الدار
افكر فيك يا من تحبنى قليلا
فابكى وقد احمر الموقد من النار .

الفـارس : هذا رائع ! فلتعد قوله . ستحفظينه عن ظهر قلب لنحيى به ليالينا ..

اوندين : أنت ، لا تبقى دقيقة واحدة أكثر من هذا ! هيا اذهبى الى حالك !

الجنية : لقد خسرت يا أوندين . لقد خسرت !!

الفـارس : ماذا خسرت ؟

الجنية : رهانها ! يأخذك بين ذراعيه يا أوندين وينظر الى . يقبلك ويستمع الى . سوف يخونك .

اوندين : ألا تعلمين أن العادة جرت عند الرجال أن يعبروا عن غرامهم بواسطة بعض البلهاء مثلك يغنون أو ينشدون .. يسمونهم شعراء . انك شاعرة . انك بلهاء .

الجنية : اذا كنت تسمحين له بأن يخونك مع الموسيقى والجمال ، لا تحرجي لقد خسرت !

اوندين : لا انه يسخر منكن . لقد كسبت .

الجنية : اذن أستطيع أن أقول انك تقبلين ؟ وان اتفاقنا قائم ؟

الفارس : أي اتفاق ؟

اوندين : نعم تستطيعين قول ذلك . تستطيعين قوله الى الحسد الى الغيرة الى الغرور ..

الجنية : حسن جدا !

أوندين : للذى يتكاثر ، للذى يعوم ، للذى يصنع العنبر ، للذى له شوكة ، للذى يبيض بالملايين .

الجنية : سترين ما اذا كان مشوقا كونك من الاحياء !

الفارس : يا للشياطين ، ما هذا الذى تقولونه !

اوندين : اذهبي وقولي لهم ! اذهبي ..

الجنية : دقيقة واحدة وسيعرفون . والذى أعنيه بينهم ؟

أوندين : عليه اللعنة هذا الذى تعنين .

تختفي الجنية .

الفارس : يا لها من طريقة للتفاهم ! يا له من هيجان .

اوندين : نعم ، انها الأسرة !

المنظر التاسع

اوندين . الفارس . جالسان . تلف ذراعيها حوله

اوندين : لقد وقعت فى الشرك هذه المرة أليس كذلك ؟

الفـارس : روحا وجسدا ..

اوندين : لن تقاوم بعد الآن .

الفـارس : اننى لا أستطيع الحركة من فرط السعادة ..

اوندين : استغرق هذا عشرين دقيقة .. تحتاج سمكة البلبيطة لثلاثين .

الفـارس : بل استغرق هذا طول حياتى . منـذ طفولتى كانت السـارة تنزعنى من على مقعدى ومن قاربى ومن فوق جوادى .. كنت تجذبيننى نحوك ..

اوندين : انه فى القلب أليس كذلك ؟ ليس على الشفاه أو على الخد ؟

الفـارس : بعيد جدا بحيث لا يمكنك اقتلاعه أبدا ..

اوندين : هل أطلب الكثير ، اذا طلبت منك أن تكف عن كنايات الأسماك وتقول لى انك تحبنى !

هانز : (وقد ركع على احدى ركبتيه) لا . هأنذا أقولها . أحبك .

اوندين : هل قلتها قبل الآن ؟

الفارس : قلت كلمة مشابهة لهذه ولكنها كانت العكس .

اوندين : هل قلتها كثيرا ؟

الفارس : لكل اللاتى لم أحبهن .

اوندين : أريد التفاصيل ! قل لى انتصاراتى ! قل لى من تهجر من أجلى !

الفارس : لا شىء تقريبا .. لا شىء .. كل النساء ..

اوندين : الشريرات ، الوضيعات ، ذوات الذقون ؟

الفارس : الطيبات ! الجميلات !

اوندين : آه يا هانز ! كنت أود أن أقدم لك العالم هدية ، وهأنذا أسحب منك أجمل نصف فيه . سيأتى اليوم الذى تحقد فيه علىّ ..

الفارس : لن يساوين شيئا بالقرب منك . سترينهن ..

اوندين : سأراهن أين ؟

الفارس : هناك حيث يوجدن . فى الملاهى ، على حافة

الآبار ، عند اليونانيين بائعي القطيفة . سنرحل غدا ..

أوندين : هل تريد أن نغادر الآن منزلنا وبحيرتنا ؟

الفــارس : أريد أن يرى العالم أكمل ما يملك .. ألا تعلمين أنك أكمل ما في الوجود !

أوندين : أشك في ذلك . ولكن هل للعالم عيون ليراه ؟

الفــارس : وأنت أيضا سترينه . لا يمكنكما أن تستمرا في جهل كل منكما للآخر ان العالم جميل جدا يا أوندين !

أوندين : آه يا هانز ، من هذا العالم أريد معرفة شيء واحد فقط . هل يفترقون في هذا العالم ؟

الفــارس : ماذا تريدين أن تقولي ؟

أوندين : أفترض ملكا وملكة ، يحب كل منهما الآخر . هل يفترقان ؟

الفــارس : لا أفهم ما تقصدين ؟

أوندين : سأوضح لك ذلك . خذ مثلا كلاب البحر . انني لا أميل بشكل خاص الى كلاب البحر ، يبدون دائما كما لو كانوا مبحوحي الصوت . انهم ليسوا كذلك ولكن عندهم حبال صوتية وبما

أنهم يفتحون دائما فمهم لذلك يجف الملح على شعيبات الرئة ..

الفـارس : انك تخطرفين بكلابك البحرية هذه ؟ ..

اوندين : لا ! لا ! انه مثال . اذا ما تزاوج كلاب البحر يا هانز فهما لا يفترقان أبدا بعد ذلك يسبح الواحد منهما على قيد أنملة من الآخر ، آلاف الكيلومترات دون أن تبتعد رأس الأنثى بأكثر من رأس خلف الذكر .. هـل الملك والملكة يعيشان كذلك فى مثل هذا القرب ؟ الملكة تتخلف قليلا الى الوراء مراعاة لأصول اللياقة .

الفـارس : تحقيق ذلك صعب . الملك والملكة لكل منهما جناحه الخاص وعربته الخاصة وحدائقه ..

اوندين : لكل ، ما أبشعها كلمة ! ولماذا ؟

الفـارس : لأن لكل منهما مشاغله وأوقات فراغه ..

اوندين : ولكن لكلاب البحر أيضا مشاغل مختلفة تمام الاختـــــلاف ! عليهم أن يأكلوا وعليهم أن يصطادوا ، يطاردون أحيانا صفوفا من ملايين الرنجة التى تتفرق أمامهم الى ملايين تمـر بسرعة البرق . ويكون لديهم ملايين الأسباب

ليذهب أحدهم الى الشمال والآخر الى اليمين ومع هذا يعيشان طول حياتهما متلاصقان ومتوازيان يكاد لا يفصل بينهما خط .

الفارس : انى أخشى أن يكون فى امكان الحيتان أن تمر عشرين مرة فى اليوم الواحد بين الملك والملكة . الملك يراقب وزراءه والملكة من يعتنون بحدائقها . يحملهما تياران .

اوندين : تماما فلنتكلم عن التيارات : على كلاب البحر أن تقاوم عشرين تيارا ، مائة تيار ! هناك تيارات شديدة البرودة وتيارات حارة . كان من الممكن لكلب البحر أن يحب التيارات الباردة ولكلبة البحر أن تحب التيارات الدافئة .. تيارات أقوى من المد والجزر تشج القوارب ومع هذا لا تفرق قيد أنملة بين ذكر كلاب البحر وأنثاه ..

الفارس : هذا يثبت أن الرجال وكلاب البحر نوعان مختلفان .

اوندين : وأنت ! لن تتركنى ولا ثانية ! ، هذا أمر مفروغ منه ، ولا حتى على بعد متر .. فمنذ

أن أحببتــك تبدأ وحدتي على بعد خطوتين منــك .

الفــارس : هو ذاك يا أوندين .

أوندين : احتكاك كل منا بالآخر أقل ايذاء مما لو غاب كل منا عن الآخر .

الفــارس : الام تريدين الوصول يا صغيرتي أوندين ؟

أوندين : آه يا هانز ، استمع لى . أعرف شــخصا يستطيع أن يجمعنا الى الأبد . شخص قوى جدا سيعمل على أن نكون ملتحمين أحــدنا بالآخر كما يحدث لبعض التوائم ، أتريد أن أناديه ؟

الفــارس : وأذرعنا يا أوندين ، أهى فى اعتبارك لا شىء ؟

أوندين : يستخدم الرجال أذرعهم عــــلى الأخص فى التخلص . أوه لا ، كلما فكرت ، كلما رأيت أنها الوسيلة الوحيــدة لكى لا يصبح الزوج والزوجة تحت رحمة رغبة أو مزاج . الصديق الذى سيجمعنا موجود هنا . وسيقبل . ما عليك الا أن تقول كلمة !

الفــارس : هل كلابك البحرية هذه ملتحمة ببعضها ؟

اوندين : هذا صحيح . ولكنهم لا يخرجون الى دنيا الناس . سيربطنا من وسطنا بحزام من اللحم . لقد فكرت فى ذلك . وسيكون مرنا ولن يمنعنا من أن نتعانق .

الفارس : والحرب يا صغيرتى أوندين ؟

اوندين : تماما . سأكون فى الحرب معك . سنكون الفارس ذا الوجهين . سيفر الأعداء . وسنشتهر . أناديه ، أليس كذلك ؟

الفارس : والموت ؟

اوندين : تماما . لن نستطيع فك الحزام . لقد فكرت فى كل هذا . سترى كم سأكون رزينة . سأقفل أذنى وعينى . لن تشعر أننى ملتصقة بك .. أأناديه ؟

الفارس : لا . سنجرب أولا هكذا كما نحن يا أوندين وبعد ذلك سنرى .. لن تخشى شيئا لهذه الليلة فقط .

اوندين : بلى .. اذا كنت لا تعتقد أننى أرى فيما أنت تفكر .. هذا واضح تقول عندها حتى سأضمها

طول النهار وطول الليل ولكن من حين لآخر
سأتركها لحظة لأستنشق الهواء لألعب النرد ..

الفارس : لأذهب وأرى جوادى ..

اوندين : نعم ، نعم ، امزح ! انتى متأكدة من أنك تنتظر
منامى لتذهب وترى جوادك . وتقول فى سريرتك
عندما ينام هذا الملاك ، هـــذا الملاك الذى
لن أهجره ولا دقيقة واحدة ، سأخرج لمدة
دقيقة كبيرة كاملة لأرى جوادى.. ستنتظر منامى
طويلا .. أنت الذى سينام ..

الفارس : انتى أشك فى ذلك يا حبيبتى أوندين .. ستبقينى
السعادة ساهرا طول الليل .. على العموم علىّ
أن أذهب لأرى جوادى . ليس فقط لأننا
سنرحل مع الفجر .. ولكن لأننى أقول له كل
شىء .

اوندين : حقا ؟ حسن !

الفارس : ماذا تفعلين ؟

اوندين : لهذه الليلة أصنع حزامى بنفسى . أيضايقك أن
ألف هذا الرباط حول وسطينا ؟

الفارس : لا يا حبيبتى .

اوندين : وهذه السلسلة ؟

الفارس : لا يا حبيبتى .

اوندين : وهذه الشبكة ؟ .. سترفعها بمجرد أن أنام . أنظر ها أنذا أتثاءب .. طاب مساؤك يا حبيبى .

الفارس : مفهوم .. ولكن لم يرتبط رجل وامرأة فى هذا العالم بمثل هذا القرب .

(اوندين تعتدل فجأة) .

اوندين : حقا ! اذن نم أنت الآن !

بيديها تقذف النوم على الفارس الذى ينام فى الحال .

جنيه : وداعا يا أوندين ..

اوندين : اعتن أنت بالمائتى سمكة من حيتان سليمان المجروحين . واعتنى بسميكات المحاقن . اذهبى بالفريقين فى الفجر تحت الشلال البحرى ، وفى الظهر تحت النباتات المائية . احترسى من هذا النهر المسمى بالرين انه ثقيل جدا عليهم .

جنيه : وداعا يا أوندين ..

اوندين : ستخلفيننى أنت فى حفظ اللآلى . ستجدينها كلها فى قاعة الكهف .. صنعت منها رسما ،

اتركيه بضعة أيام .. لن يعنى هذا شيئا بالنسبة لك . اذ لابد من معرفة القراءة .. انه اسم ..

ملك جنيات البحر : للمرة الأخيرة ، لا تخونينا ! لا تذهبى عند الرجال !

اوندين : أنا ذاهبة الى رجل .

ملك جنيات البحر : سيخونك .. سيهجرك .

اوندين : لا أصدق .

ملك جنيات البحر : اذن اتفاقنا سار ، أيتها البلهاء الصغيرة ! .. هل تقبلين الاتفاق ، اذا خانك يا عار البحيرات !

الفارس : وهو يتقلب فى نومه : أوندين ! .. يا فخر البحيرات .

اوندين : كم يريح المرء أن يكون له فمان ليجاوب !

ستار

الفصل الثاني

قاعة الشرف فى القصر الملكى

حاجب القصر – مدير المسارح – مدرب الفقمات – ملك جان البحر فى هيئة ساحر

الحاجب : أيها السادة ، اننى أعتمد على ابتكاركم وارتجالكم على السواء . بعد لحظات سيستقبل الملك فى هذه القاعة فارس وبنتشتين الذى قرر أخيرا بعد مرور ثلاثة من شهور العسل أن يقدم زوجته الى البلاط . وتعتقد سموها أن الاحتفال المبجل يجب أن يختم ببعض الترفيه .. أنت يا سيدى مدير المسارح الملكية ماذا تقترح علينا .

المدير : سلامبو !

الحاجب : سلامبو مسرحية حزينة ! كما أنك قدمتها لنا يوم الأحد الماضى بمناسبة نهاية عام مارجراف .

المدير : حزينة ولكنها معدة ..

الحاجب : معدة أكثر من أورفيه التي تمدها حدائق حيوان القصر الملكي بالذئاب والغرير ؟ معدة أكثر من مسرحية آدم وحواء التي لا تحتاج بتاتا الى ملابس ؟

المدير : يا صاحب السعادة ، ان شهرتي المسرحية مصدرها أنني كنت الأول في تفهم أن لكل مسرحية تسهيلاتها وعوائقها ، وأن التعجل لا يأتي بفائدة ..

الحاجب : أيها المدير ، ان الوقت يضيق علينا الخناق !

المدير : في الواقع ، كل مسرح لم ينشأ الا من أجل مسرحية واحدة ، والسر الوحيد في النجاح في ادارته هو أن تكتشف هذه المسرحية . وهذا عمل شاق خاصة اذا لم تكن قد كتبت بعد . ومن هنا آلاف النكبات ، الى اليوم الذي تحت شعور ميليزاند أو درع هكتور يدخل فيه مفتاحه وتدخل فيه روحه واذا جرؤت على القول جنه ..

الحاجب : أيها المدير ..

المدير : لقد قمت بادارة أحد المسارح وكان خاليا مع روائع الأدب التقليدى (الكلاسيكى) ولم يعرف النجاح الا مع مهزلة جنسية فقد كان مسرحا أنثى .. وآخر لم يعرفه الا مع جوقة قبة الفاتيكان فقد كان مسرحا مقلوبا .. واذا كنت قد أغلقت مسرح البارك فى العام الماضى فقد كان هذا مراعاة للصالح العام وأصول اللياقة لأنه لم يكن يحتمل الا مسرحيات السفاح ..

الحاجب : ومفتاح مسرحنا الملكى هو سلامبو ؟

المدير : لقد قلتها بنفسك . لمجرد ذكر اسم سلامبو يرتخى هذا القابض الداخل مع الأسف فى تكوين بلعوم مغنيينا ويعطينا أصواتا تشاذا بعض الشىء ولكنها رنانة . ورافعة الأثقال التى تصدأ وتتعقد مع فاوست تدور فجأة بكل سرعتها . والأعمدة التى يعجز عن رفعها عشرات العمال الا بعد أن تشتبك منهم فى الستائر يقيمها بلمسة من أصبعه عامل ديكور واحد وتفوق فى وضوحها مناظر الزهور المنثورة . ويهرب

الحزن والعصيان والتراب على جناح السرعة من هذه الأماكن مع الظلام ؛ وفى بعض الأحيان بينما أقدم احدى الأوبرات الألمانية ، أرى من مقصورتى أحد المغنيين ينتفض نشوة ويلقى بغنائه بأعلى صوته ويسيطر على الموسيقى بحيوته المندفعة ويثير فى الجمهور التصفيق والارتياح . هذا لأنه بينما يغنى زملاؤه بأمانة أدوارهم عن أهل الشمال اذا به عن غير قصد يغنى دوره فى مسرحية سلامبو . نعم يا صاحب السعادة لقد لعب مسرحى سلامبو آلاف المرات ومع هذا فهى المسرحية الوحيدة التى أستطيع أن أطالبهم بارتجالها .

الحاجب : آسف . ليس من اللائق أن نعرض على حبيبين النهاية المفجعة للحب . الى يا هذا ، من أنت ؟

المدرب : اننى مدرب عجول البحر يا صاحب السعادة .

الحاجب : وماذا تفعل عجول البحر هذه ؟

المدرب : لا تغنى سلامبو يا صاحب السعادة .

الحاجب : انها مخطئة فى ذلك ، عجول بحر تغنى سلامبو كم يكون هذا مسليا فى فترات الاستراحة .

وعلى العموم لقـد قالوا لى ان عجل البحـر الذكر الملتحى يشبه حما ملكتنا ؟

المدرب : أستطيع أن أحلق ذقته يا صاحب السعادة .

الحاجب : من مساوىء المصادفة ان حما ملكتنا حلق ذقنه البارحة .. فلنتحاش ظل فضيحة .. تقدم أنت الأخير ! من أنت ؟

الساحر : انني ساحر يا صاحب السعادة .

الحاجب : وأين أدواتك ؟

الساحر : انني ساحر بدون أدوات .

الحاجب : لا أحب المـزاح . لا يمكن اظهار نجم مذيل ولا يمكن اظهار مدينة ايس من الميـاه التى ابتلعتها وخاصة ونواقيسها تدق من غـير أدوات .

الساحر : بلى .

(يمر نجم مذيل وتظهر مدينة ايس فوق الماء)

الحاجب : لا تنفع بلى . لا يمكن ادخال حصان طروادة والشرر يتطاير من عينيـه ولا يمكن اقامـة الأهرامات ومن حولها الجمال من غير أدوات .

(يدخل حصان طروادة.وتظهر الاهرامات.)

الساحر : بلى .

الحاجب : يا له من عنيد !

الشاعر : يا صاحب السعادة ! ..

الحاجب : اليك عنى ! لا يمكن اظهار شجرة ياهوذا ولا يمكن اظهار فينوس عارية بجانب الحاجب الأول من غير أدوات .

(تظهر فينوس بالقرب من الحاجب)

الساحر : بلى .

الشاعر : يا صاحب السعادة ! .. (ينحنى) .. سيدتى !

(تختفى فينوس)

الحاجب : (مذهولا) كنت أتساءل دائما من تكون هاته النسوة اللاتى تظهرونهن أنتم السحرة . نساء عاديات ؟

الساحر : أو فينوس شخصيا . هذا يتوقف على نوع الساحر .

الحاجب : هذه التى أظهرتها تبدو على كل حال اكيدة .. وما هو مشروعك ؟

الساحر : اذا سمحتم سعادتكم ستوحى الى الظروف .

الحاجب : هذا معناه أن أثق فيك ثقة عظيمة .

الساحر : انني تحت أمرك ، لأقدم لك في الحال كتجربة لمرة ترفيهية شخصية .

الحاجب : أرى أنك تستطيع أيضا قراءة الأفكار .

الساحر : بما أن الفكرة التي تشغلك هي التي تشغل كل البلاط فهذا يقلل من مواهبي . نعم ياصاحب السعادة ، أستطيع كما تتمناه وكما تتمناه جميع سيدات المدينة أن أجابه وجها لوجه رجـــلا وامرأة يتحاشى كل منهما الآخر منـــذ ثلاثة شهور .

الحاجب : هنا في هذا المكان ؟

الساحر : وفي الحال . سأعطيك من الوقت ما يســمح بدعوة الفضوليين .

الحاجب : أنت واهم . حقيقة هذه هي مهنتك ولكن فكر قليلا أن الرجل الذي تتحدث عنه يعتني الآن باللمسات الأخيرة في زينة زوجته التي ستظهر بها في البلاط ويتأملها بسعادة . والسيدة من ناحيتها أقسمت عن كراهية وغيرة ألا تظهر في البلاط .

الساحر : نعم ولكن افترض أن أحد الكلاب خطف قفاز الزوجة الشابة وحمله نحو هذه القاعة .. ماذا

يفعل الزوج ؟ وافترض أن طائر السيدة يهرب من قفصه ويطير نحو هذا المكان ؟ الطائر الذى تحبه ..

الحاجب : لن يساعدك ذلك فى نجاح خطتك اذ أن من أهم الأوامر الصادرة الى الحارس هو أن يمنع الكلاب من الاقتراب من الحجرات الملكية . ويطير صقرا الأمير فى حرية ومن غير كمامات بالقرب من القفص .

الساحر : نعم .. ولكن افترض أن الحارس ينزلق على بعض قشور الموز وأن غزالا يلهى الصقور عن الطائر .

الحاجب : موز وغزلان انها أشياء لا توجد فى هذا البلد .

الساحر : نعم .. لا .. من مدة ساعة . فممثل افريقيا كان يقشر واحدة من هذه الفاكهة عندما كان يتبعك لمقابلة الملك ومن بين هداياه رأيت حيوانات الصحراء . لن تكون لك الكلمة الأخيرة مع السحر يا صاحب السعادة . صدقنى ! .. اعط الاشارة ، وليتخذ الفضوليون أماكنهم وسترى قادما فى هذا المكان برتا والفارس ..

الحاجب : أخبروا السيدات !

الشاعر : يا صاحب السعادة . لماذا تقدم على مثل هذا العمل البشع ؟

الحاجب : سيتم فى يوم أو فى آخر . أنت تعرف السنة البلاط .

الشاعر : هذه صناعتهم . ولكنها ليست صناعتنا .

الحاجب : أيها الشاعر العزيز ، عندما تصبح فى مثل سنى ستجد أن الحيـــاة مسرحا لم يزل فيه بعض النشـــاط . ولكن تنقصه الادارة بدرجـــة لا تتصورها . رأيته دائما يؤخر الفصول التى يجب أن تحدث ويخفف من وقع النهايات وعندما يصل الذين يجب أن يموتوا فيه من الحب يكون هذا بعد جهد وفى شيخوختهم . وما دام فى متناول يدى ساحر سأقدم لنفسى هذه المتعة وأرى الحياة تجرى بالسرعة وبالدرجة التى يريدها ليس فقط الفضول وانما الرغبـــة البشرية ..

الشاعر : اتخذ ضحية أقل براءة .

الحاجب : هذه الضحية البريئة يا صديقى جعلت فارسا يتحلل من وعوده وعقابها آت ان آجلا أو عاجلا،

اذا تقابل الفارس وبرتا وتفاهما اليوم سيوفران علينا الفترة الزمنية التى تتطلبها الحياة . اذا تلامست أيديهما فى الصباح واذا تبادلا القبلات فى المساء بدلا من تأخير قبلاتهما للشتاء أو الخريف فلن يغير هذا من مجرى الحوادث . ولكنها ستكون أكثر صدقا وأكثر قوة وكذلك أكثر نضارة . هذه هى ميزة المسرح على الحياة ، لن تفوح منها رائحة التتن .. هيا ابدأ أيها الساحر ! .. ما هذه الضوضاء ؟

غلام من خدم الملك : انه الحارس يسقط على الأرض .

الحاجب : كل شيء يسير سيرا حسنا .

الشاعر : يا صاحب السعادة ! انه عمل شنيع أن تدفع بعجلة الحياة ! انك تلغى العاملين المتقذين : الغفلة والكسل . من قال لك ان الفارس وبرتا عن اهمال أو عن رتابة الحياة لم يكونا ليتجنب كل منهما الآخر طوال حياتهما .. ما هذه الصيحة ؟

غلام من خدم الملك : انه غزال فقأت عينيه الصقور .

الحاجب : هذا رائع ! فلنختبىء .. هل تعتقد أيها الساحر أنه يمكنك الاحتفاظ بهذه السرعة فى مجرى الحوادث .

الساحر : ها هو الطائر ..

المنظر الثانى

برتا . الفارس

الفارس : (وهو يلتقط قفازا) أخيرا وجدتك !

برتا : (وهى تمسك بالطائر) أخيرا أمسكت بك !

(يذهب كل من ناحية دون ان يرى احدهما الآخر)

المنظر الثالث

المتفرجون المختبئون يمدون رؤوسهم ويتململون

الشاعر : آه اننى أتنفس ! ..

السيدات : هل تسخر منا أيها الحاجب ؟

الحاجب : ما هذه الدعابة أيها الساحر ؟

الساحر : انها غلطة من الادارة كما تقول . سأصلحها .

الحاجب : هل سيتقابلان نعم أم لا ؟

الساحر : حتى لا ندع مجالا للشك فى تقابلهما سأجعلهما يصطدمان .

(الجميع يختبئون خلف الاعمدة)

المنظر الرابع

برتا . الفارس

الفـارس : (يلتقط القفاز الآخر) ها هو القفاز الآخر .. !

برتا : (تمسك بالطائر) آه ! ما زلت تريد الهرب !

(يصطدمان بعنف برتا تكاد تقع هالزيمسك بيدها . يتعرف كل منهما على الآخر)

الفـارس : آه انى آسف يا برتا !

برتا : آسفة أيها الفارس .

الفـارس : هل آلمتك ؟

برتا : لم أشعر بشيء على الاطلاق .

الفـارس : انني حيوان .

برتا : نعم ..

(يشرعان في الخروج ببطء ، كل من ناحية، برتا تتوقف اخيرا)

برتا : هل كانت رحلة زواجك سعيدة ؟

الفـارس : كانت رائعة ..

برتا : شقراء أليس كذلك ؟

الفــارس : شقراء تمر الشمس حيث تمر .

برتا : ليالى مشمسة . أنا أفضل الظلال .

الفــارس : لكل ذوقه .

برتا : اذن لابد وأنك قاسيت يوم رحيلك عندما قبلتنى فى ظل شجرة البلوط هذه ؟

الفــارس : برتا !

برتا : أنا لم أقاس .. كان ذلك يروق لى جدا ..

الفــارس : ان زوجتى بالقرب من هنا يا برتا !

برتا : كنت سعيدة بين ذراعيك ، كنت سعيدة سعادة أبدية !

الفــارس : أنت التى تخلصت من هذه الأذرع ! وأخذتنى عن غرور بين صديقاتك دون أن تضيعى دقيقة واحدة لغرض لا أعلمه ! ..

برتا : حتى دبل الخطوبة يخلعونها لعرضها على الناس ..

الفــارس : آسف . الدبلة لم تفهم .

برتا : فعلت ما تفعله الدبل .. تدحرجت .. تحت سرير ..

الفــارس : ما هذا الأسلوب ؟

برتا : لابد وأننى أخطأت بكلامى عن السرير .. ينام الناس عند الفلاحين فى مخازن القمح عـلى القش .. لابد وأنكم اضـطررتم الى تنظيف ثيابكم مما علق بها فى صباحية ليالى غرامكم ؟

الفــارس : أرى من حديثك أنك لم تحصلى بعد عـلى لياليك .

برتا : لا تشغل نفسـك بها . سوف تأتى .

الفــارس : لا أشــك فى هذا . ولكن اذا أردت نصيحة ففضلى حبك على نفسـك لا تركيه يبتعد عنك .. عـلى البعد مهما كنت تعتقدين فان ملامحك تتلاشى .

برتا : اطمئن . لن أتركه بعد الآن ..

الفــارس : مهما يكن لا تلقيه ارضاء لأنانيتك بعيدا نحو المخاطر العقيمة والموت ..

برتا : يبدو أن الرعب قد استولى عليك فى هــــذه الغابة ؟

الفــارس : يقولون عنك أنك متعـــالية . لا ترددى فى

الاندفاع نحوه عندما تربنه وعلى تقبيله أمام جميع من فى البلاط .

برتا : كانت هذه نيتى .. حتى لو كنا بمفردنا !

(تقبل الفارس وتريد ان تهرب، يمسك بها)

الفارس : آه يا برتا ! أنت الكرامة . أنت الكبرياء !

برتا : أنا الذل .. أنا السفاهة ..

الفارس : أية لعبة تلعبينها الآن ؟ ماذا تريدين ؟

برتا : لا تضغط على يدى انها تمسك بعصفور .

الفارس : أنا أحب زوجتى . ولن يفرق بيننا شىء .

برتا : انه طائر الصعو . ستخنقه !

الفارس : لو كانت الغابة ابتلعتنى لما كنت حملت لى ذكرى . وها أنذا أعود سعيدا وسعادتى غير محتملة لديك .. اتركى هذا العصفور !

برتا : لا ، ان قلبه ينبض بجانب قلبى ، وأنا أحتاج فى هذه اللحظة الى هذا القلب الصغير .

الفارس : ما هو السر الذى تخفينه ؟ بوحى به !

برتا : (وهى تريه العصفور ميتا) . ها هو .. لقد قتلته .

الفارس : آسف يا برتا !

(يركع باحدى ركبتيه على الارض ، برتا تنظر اليه لحظة)

برتا : سرى يا هانز ؟ سرى هو غلطتى ؟ كنت أظن أنك قد فهمته . هذا لأننى اعتقدت فى المجد . ليس مجدى أنا وانما مجد الرجل الذى أحببته والذى اخترته منذ طفولتى هذا الرجل الذى جذبته ذات مساء تحت شجرة البلوط التى نقشت اسمه عليها وأنا طفلة صغيرة .. كان الاسم يكبر كذلك كل عام ! .. اعتقدت أن المرأة ليست الدليل الذى يصحبك الى المائدة والى الراحة والنوم وانما التابع الذى يجمع للصياد الأصيل كل ما اصطاده مما يحويه هذا العـــالم من مخلوقات لا يمكن التغلب عليها والامساك بها . كنت أشعر بقوة تمكننى من أن أطلق عليك الحصـــان ذا القرن الأوحـــد والتين وحتى الموت . انى سمراء وقد اعتقدت أنه فى هذه الغابة سيكون خطيبى فى نورى وأنه فى كل ظل سيرى شكلى وفى كل ظـــلام سيشعر بحركتى . كنت أريد أن أدفع به فى قلب هـــذا الشرف ومجـــد الظلمات التى لم أكن الا صدى لصوتها وأبسط رمز لها . لم أكن

خائفة . كنت أعرف أنه سينتصر على الظلام بما أنه انتصر على أنا . كنت أريده أن يصبح الفارس الأسود . هل كان بوسعى أن أتصور أنه فى احدى الليالى ستنفرج فروع أشجار الصنوبر كلها أمام رأس شقراء ؟

الفارس : هل كنت أنا نفسى أتصور هذا ؟

برتا : هذه هى غلطتى وقد اعترفت بها . لن تسألنى عنها بعد الآن . لن أنقش أسماء بعد اليوم على أشجار البلوط .. رجل وحده مع المجد ، هذا سخيف . سيدة وحدها مع المجد ، هذا مضحك .. اننى أكفر عن خطئى .. وداعا ..

الفارس : آسف يا برتا ..

برتا : (تأخذ من يده العصفور) هاتها .. سآخذها .. يخرج كل من ناحيته .

المنظر الخامس

الحاجب . الساحر . الشاعر

الساحر : ها هو .. ها هـــو المنظـر الذى لم تكونوا لتشاهدوه الا فى الشتاء القادم ، فى حالة عدم لجوئكم الى خدماتى !

الشاعر : انه كاف جدا ! .. فلنتوقف !

الحـاجب : بكل تأكيد لا ! اننى أتوق لمعرفة ما سيأتى ! ..

جميع السيدات : المشهد التالى ، المشهد التالى !

الساحر : تحت أمركم ، أى مشهد ؟

احدى السيدات : المشهد الذى يميل فيه هانز على الفارس الذى جرحه وينظر الى رقبته ويتعرف على برتا .

الساحر : هذا المنظر احتفظنا به لقرون أخرى يا سيدتى .

الحـاجب : المنظر الذى تتحدث فيه برتا والفارس لأول مرة عن أوندين ..

الساحر : منظر العام القادم ؟ .. هيا بنا ..

(تنظر كل السيدات فجأة الى وجه الحاجب)

الحـاجب : ما هذا الذى أحمله على وجنتى !

الساحر : آه انها مساوىء الطريقة التى تتبعها ! انك تحمل ذقنا نبتت منذ ستة شهور ..

(الجميع يختبئون من جديد)

المنظر السادس

برتا . الفارس

(يدخلان بخطوات متحررة احدهما من الحديقة والاخرى من القصر)

برتا : كنت أبحث عنك يا هانز !

الفارس : كنت أبحث عنك يا برتا !

برتا : هانز ، يجب الا نترك لهذه الغيوم مكانا بيننا . لا يمكنني أن أكون صديقتك اذا لم أصبح صديقة لأوندين . اتمشى عليها الليلة . اني أنسخ الاتيانذة [1] والأحزان [2] وأقوم برشمهما بنفسي . ستساعدني على وضع الذهب على دموع أوفيد .

الفارس : شكرا يا برتا ولكنني أشك في ذلك ..

برتا : أوندين لا تكتب عن قصد ؟

الفارس : لا ، أوندين لا تعرف الكتابة .

برتا : انها على حق ! يمكنها هكذا أن تهب نفسها كلية لأعمال الآخرين . يمكنها أن تقرأ الروايات دون أن تحسد الكاتب .

الفارس : لا . انها لا تقرأها .

(١) هي ملحمة الشاعر الروماني الكبير فرجيليوس .
(٢) قصائد معروفة للشاعر الروماني اوفيدوس .

برتا : انها لا تحب الروايات .

الفارس : انها لا تعرف القراءة .

برتا : كم أحسدها على ذلك ! يا لها من جنية سنراها بين هؤلاء المتفيقهات والمتدينات ! .. كم سيكون مريحا أن نرى الطبيعة ذاتها لا يشوبها القلق وقد وهبت نفسها للموسيقى والراقصين .

الفارس : انك لن تريها هنا .

برتا : هل تغار عليها الى هذا الحد ؟

الفارس : لا . انها لا تعرف الرقص .

برتا : انك تمزح يا هانز ! هل تزوجت من امرأة لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولا الرقص ؟

الفارس : نعم . وكذلك لا تنشد ولا تعزف على الناى ولا تركب الخيل . وتبكى فى رحلات الصيد .

برتا : ماذا تفعل ؟

الفارس : تسبح .. قليلا ..

برتا : يا لها من ملاك ! ولكن احترس ! الجهل غير مرغوب فيه فى البلاط . الأساتذة يملؤون جوانبه . كيف تبدو أوندين ؟

الفارس : كما هى . كالحب .

برتا : كالحب الصامت أم كالحب الثرثار ؟ سيكون

من حقها أن تجهل كل شيء اذا كانت تعرف الصمت .

الفارس : فى هذه النقطة بالذات ينتابنى القلق يا برتا . أوندين ثرثارة ولما كان أستاذها الأوحد الطبيعة فهى تتخذ لغتها من الضفادع وعلاقاتها من الرياح . وها نحن فى موسم الرحلات والصيد . وأنا أرتعد من مجرد التفكير فى الألفاظ التى ستقتلعها منها هذه المناظر حيث كل موقف وكل تصرف وكل استدارة له اسمه الخاص به . انتى أعلمها ولكن بلا جدوى . عند كل كلمة فنية عند كل كلمة جديدة بالنسبة لها تقبلنى . كانت هناك ثلاثة وثلاثون كلمة فى أول درس للرماية الذى كنت أحاول أن أشرحه لها البارحة .

برتا : أربعة وثلاثون ! ..

الفارس : هذا صحيح : مع فتحة الرقبة وتصبح أربعة وثلاثون ! أين ذهب عقلى ! أحسنت يا برتا !

برتا : لقد أخطأت فى حساب قبلة .. اتمنى على أوندين يا هانز . معى لن تخشى هذا الخطر . وأنا أعرف المبارزة على الحصان بالرماح وأعرف الصيد بالكلاب .

الفـارس : الذى يجب أن تعرفيه بالذات يا برتا هــا خصائص وميزات آل وينتشتين وهى أسرار .

برتا : لقد كانت تقريبا أسرارى . اسألنى .

الفـارس : اذا أجبت . ساكون مدينا لك برهان ! ما اللون الذى يجب أن يحمله درع فارس وينتشتين عند دخوله الى الحلبة ؟

برتا : سماوى الأمير ، مقسم الى قائم الزوايا وبه سنجاب مكسور الذيل .

الفـارس : برتا العزيزة ! قوام الوينتشتين عنـدما يقفز فوق الحاجز ؟

برتا : الرمح قائم والحصان مادا رجليه الأماميتين .

الفـارس : ستكونين فى يوم ما زوجة رائعة لفارس يا برتا !

(يخرجان معا)

المنظر السابع

الحاجب . الساحر . الشاعر . السيدات

الحاجب : أبدعت ! وكم هو على حق الفارس وينشتين . الكونتسة برتا تعمل كل شيء وتعرف كل شيء . انها الزوجة المثالية . انها تفنى نفسها لتحمى الآخرين ! .. الى المنظر الثالث أيها الساحر ، نحن فى غاية القلق ! ..

السيدة : المنظر الذى ترى فيه برتا أوندين ترقص عارية فى ضوء القمر مع الجان .

الساحر : انك ما زلت تخلطين الأمور يا سيدتى .

الحاجب : المشاجرة بين برتا وأوندين ؟

الشاعر : ما قولكم فى سنة استراحة ؟

احد الغلمان : يا صاحب السعادة موعد الاحتفال يقترب .

الحاجب : وا أسفاه ، هذا صحيح ! لم يعد عندى من الوقت الا ما يسمح لى بالذهاب الى هذه السيدة الشابة لأعطيها ، بما أنها ثرثارة ، بعض

النصائح لتتجنب كل خطأ . ولكن أيها الساحر
لن تنتهز فرصة غيابي وتقدم أية مناظر .

الساحر : منظر صغير جدا .

الحاجب : لا علاقة له بهذه الحادثة ؟

الساحر : لا علاقة له اطلاقا مع أى شيء . ولكنه سيسعد صيادا عجوزا أحبه .

(يخرج الحاجب . تدخـــل من جانب فيولنت ومن الآخر اوجست) .

المنظر الثامن

اوجست ــ فيولنت

اوجست : (يتوجه نحو الكونتسة) هل أنت الكونتسة فيولنت ؟

فيولنت : نعم أيها الرجل الطيب ..

(تميل عليه فيرى التوترة الذهبية فى عينها)

فيولنت : ماذا تريد ؟

اوجست : ما عدت أريد شيئا .. كنت على حق .. انها رائعة .. شكرا .

يختفيان .

المنظر التاسع

اوندين . الحاجب . الشاعر

الحاجب يهبط الدرج وقد اعطى يده لأوندين وهو يحاول ان يسترجع معها التحية الملكية .

الحاجب : هذا مستحيل لا يمكن على الاطلاق !

أوندين : سأكون سعيدة جدا ! ..

الحاجب : أستبدل الاحتفال العادى من الدرجة الثالثة بعيد بحرى ، عمليا هذا شىء مستحيل .. سكرتير الخزانة يمنعه على آية حال : ملء حمام السباحة بالماء يكلفنا كثيرا فى كل مرة .

أوندين : سأحضر لكم المياه مجانا .

الحاجب : لا تلحى فى هذا ! حتى اذا كان ملكنا سيستقبل أمير السمك فعليه لأسباب اقتصادية أن يستقبله فى الهواء .

أوندين : سأكون فى أحسن حالاتى داخل الماء !

الحاجب : أما نحن فلا .. أنا لن أكون ..

أوندين : بلى . أنت بالذات يدك رطبة لن يلاحظ هذا فى الماء .

الحاجب : يدى ليست رطبة .

اوندين : بل هى رطبة . المسها .

الحاجب : أيتها الفارسة ، هل عندك القوة لتستمعى قليلا الى النصائح التى ستجنبك منذ بعد ظهر اليوم الأخطاء والفضائح ؟

اوندين : ساعة ! ساعتان اذا أردت !

الحاجب : وأن تستمعى اليها دون أن تقاطعينى ؟

اوندين : أقسم لك . لا شىء أبسط من هذا ..

الحاجب : أيتها الفارسة ، البلاط مكان مقدس ..

اوندين : بعد اذنك ! لحظة !

تذهب الى الشاعر الذى كان يقف جانبا والذى يتقدم امامها .

اوندين : أنت الشاعر ، أليس كذلك !

الشاعر : يقولون ذلك .

اوندين : لست جميلا جدا ..

الشاعر : يقولون كذلك .. يقولونه همسا .. ولكن بما أن آذان الشاعر لا تكون اكثر حساسية الا لما هو همس فأنا أسمعها جيدا .

اوندين : هل الكتابة تجعل الانسان أكثر جمالا ؟

الشاعر : كنت أكثر قبحا !

تضحك له . ينسحب .

اوندين : (تعود للحاجب) آسفة .

الحـاجب : أيتها الفارسة ، البلاط مكان مقدس حيث يجب للانسـان أن يسـيطر على الخـائنين اللذين لا يستطيع أن يتخلص منهما : كلامه ووجهه . اذا شعر بالخوف يجب أن يعبرا عن الشجاعة واذا كذب فعليهما أن يعبرا عن الصراحة . كما أنه ليس من السوء فى شىء اذا حدث وقالا الصدق أن يتخذا مظهر من يقول أشياء غير صحيحة . وهذا يعطى الحقيقة مظهرا مبهمـا مما لا يحط من قدرها الا بمقدار ازاء النفاق .. فلنـأخذ مثـلا لذلك ما اخترته أنت بمنتهى البراءة . سأستبعد المثال العادى عن رائحـة الشىء المحترق الذى كنت استخدمه عادة .. نعم يدى تعرق .. يدى اليمنى أما اليسرى فهى الجفاف نفسه . انها تحرقنى فى الصيف .. نعم منذ طفولتى أعرف هذا وأتألم منه . مرضعتى عندما كنت المس ثديها كانت تخلط بين شفتى وأصابعى والاسطورة التى تقول أننى ورثت هـذا عن سـلفى أونولف الذى غمس يده من غـير قصـد فى الزيت المقـدس . لا تواسينى .. ولكن مهما كانت يدى رطبة فذراعى طويل ويصل الى العرش ويحصل على

الرضا والغضب .. اذا لم يرق لى المرء فهـو يجازف بالرضا عنه وكذلك الرضا عن زوجه وخاصة اذا ما هزأوا من عاهات جسدى .. من عاهة جسدى ! .. وعلى أية حال ليس عندى عاهات خلقية .. والآن يا أوندين الجميلة اذا كنت قد تتبعت ما قلته لك ، قولى لى كسيدة بلاط مدربة كيف ترين يدى ؟

اوندين : رطبة .. كأقدامك .

الحـاجب : لم تفهمى شيئا ! أيتها الفارسة ..

اوندين : لحظة ، هل تسمح ؟

الحـاجب : لا أبدا ! مطلقا !

تذهب ثانية نحو الشاعر الذى يأتى هو الآخر نحوها .

اوندين : ما هو أول أبياتك ؟

الشاعر : أروعها .

اوندين : أروع أبياتك ؟

الشاعر : أروع الأبيات عامة . انها فى القمة فوق جميع الأبيات فى مثل ما أنت فوق جميع النساء .

اوندين : انك متواضع جدا فى غرورك .. قله سريعا ..

الشاعر : لم أعد أعرفه . أنشدته فى منامى وعندما استيقظت كنت قد نسيته .

اوندين : كان يجب عليك أن تكتبه بسرعة .

الشاعر : هذا ما قلته أنا أيضا . وكتبته بالفعل سريعا جدا ولكنى كتبته فى المنام .

تضحك له بلطف . يبتعدان .

الحاجب : أيتها الفارسة ، حسن ، أوافق على كون يدى رطبة . عندما ستلمسين كل أيدى من فى البلاط فربما تغيرين رأيك .. فلنصدق ما تقولين ، ولنصدق أننا صدقناه .. ولكن هل ستذهبين الى حد القول للملك ان يده رطبة ؟

أوندين : بالطبع لا .

الحاجب : هذا حسن جدا ! لأنه ملك ؟

أوندين : لا ! لأنها جافة .

الحاجب : انك غير معقولة ! انني أتكلم فى حالة ما اذا كانت مبللة !

أوندين : لا يمكنك أن تتكلم عن هذا . لأنها ليست كذلك .

الحاجب : ولكن اذا سألك الملك عن السنطه التى على أنفه . الملك عنده سنطه على أنفه على ما أعتقد !

لا تجعلينى أصرخ هكـذا أرجـوك ! واذا ما سألك عما تشبه هذه السنطه ؟

أوندين : ملك يسألك فى أول لقاء عما تشبهه سنطته ، ان هذا يكون أمرا غريبا للغاية .

الحـاجب : ولكن أيتها الفارسة ، اننا نتكلم من الناحية النظرية ! أحاول فقط أن أفهمك أنه فى حالة ما اذا كانت عندك سنطه عما يحسن أن يقولونه لك ليرضوك !

أوندين : لن تكون عندى أية سنطة . ستنتظر طويلا ..

الحـاجب : انها مجنونة ..

أوندين : هذا يأتى من لمس الزحالف ، هل تعرف ؟ ..

الحـاجب : لا أهمية لهذا !

أوندين : هذا أقل خطورة من خراج حلب الذى يأتى من الاحتكاك بسمك القط ..

الحـاجب : اذا أردت ذلك !

أوندين : أو من تلك التى تحدث من قتل سمك الثعبان بخنقه . فهذا النوع حيوان نبيل يجب أن يسيل دمـه .

الحـاجب : انها غير محتملة !

الشاعر : سيدتى ، يريد الحاجب فقط أن يقول لك انه لا يجب أن نسبب آلاما لمن هو قبيح بكلامنا عن قبحه .

أوندين : ما عليهم الا أن لا يكونوا كذلك . هل أنا قبيحة ؟

الحاجب : افهمى أن الأدب نوع من الاستشار وهو أحسنها ! عندما تصبحين فى سن الشيخوخة سيقولون لك بفضل هذا الأدب انك شابة وعندما تصبحين دميمة سيقولون لك انك جميلة هذا كله مقابل ثمن بسيط .

أوندين : لن أكبر أبدا ..

الحاجب : يا لها من طفلة !

أوندين : هل تريد أن تراهن ؟ أوه عن اذنك !
تجرى نحو الشاعر .

الحاجب : أيتها الفارسة ! ..

أوندين : انه أجمل ما فى الحياة ، أليس كذلك ؟

الشاعر : عندما تسقط من على الصخور وتتقاذف النباتات والزهور بدون أدنى شك !

أوندين : الشلالات ، أجمل ما فى الوجود ! أعتقد انك قد جننت !

الشاعر : فهمت . انك تتحدثين عن البحر ؟

اوندين : عن البحر ؟ هذا السائل المالح ؟ هذا الراقص المتمايل ؟ ولكنك تهيننى !

الحاجب : أيتها الفارسة !

اوندين : ها هو الآخر ينادينا . وا أسفاه ! كنا متفاهمين للغاية .

(تعود الى الحاجب)

الحاجب : ماذا يقولون ! أيتها الفارسة ستعود الى هذا الدرس فى يوم آخر . عندى من الوقت ما يكفى فقط لتلقينك الجواب على السؤال الذى يلقيه الملك على كل مبتدئة عن البطل الذى يحمل اسمه ، عن هرقل ، لقد أطلقوا عليه هذا اللقب لأنه وهو فى مهده سحق تحت عجزه ثعبانا تسلل الى هذا المهد . وأنت سادس مبتدئة هذا العام ، سيسألك عن سادس أعماله . استمعى جيدا سأجعلك تعيدين ما أقوله وباسم القديس روش أرجو ألا تتغيبى بعد الآن عن الحديث لتذهبى وتكلمى الشاعر .

اوندين : أوه تماما ! كدت أن أنسى ! شكرا لتذكيرك اياى ! .. انه أمر مستعجل جدا !

الحاجب : انني أمنعك !
تجري الى حيث يوجد الشاعر .
أوندين : انك تعجبني .
الشاعر : انك تخجليني . ولكن الحاجب ينتظر . ما هو الشيء المستعجل الذي تريدين قوله .
أوندين : هــذا ..
الحاجب : أعتقد أنهم جئوا ! أيتها الفارسة !
أوندين : كنت أتحدث منذ لحظة عن العيون التي تنبع تحت الماء عنـــدما يحل الربيع ويزدهر قاع البحيرة .. اللعبة في أن تجدهم حيث ينفجروا . فجأة تجد مياها تتخبط وسط الماء تحاول أن نضغط عليها بأيدينا . فنبتل بمياه لم يلمسها الا الماء . توجد واحدة بالقرب من هنا في المستنقع . اذهب فوقه وانظر الى خيالك سترى نفسك كما أنت ، أجمل الرجال ..
الشاعر : دروس الحاجب تؤتي ثمارها .
الحاجب : انني أحملك المسئولية يا والتر ، عندما قتل هرقل السمكة أيتها الفارسة ..
أوندين : هرقل قتل سمكة ؟

الحاجب : نعم أكبر واحدة، ثعبان الماء ذو السبعة رؤوس .

اوندين : اذن سأصم أذني . لا أريد أن أعرف شيئا عن السفاحين .

الحاجب : يا للجحيم !

تسمع ضوضاء كبيرة فى الخارج ويظهر الساحر .

الحاجب : وما هو هذا المنظر الآن ؟

الساحر : المنظر القادم ؟ لست مسئولا ..

السيدة : القبلة الأولى لهانز وبرتا ؟

الساحر : لا شيء أسوأ من هذا : أول سوء تفاهم بين هانز أوندين . جاءت فى موعدها .

يظهر هانز

الغلام : زوجك يا سيدتى .

اوندين : تعالى يا عزيزى هانز . الأستاذ الكبير يعلمنى الكذب .

الفارس : اتركينى . أريد أن أحدثه .

أوندين : المس يده . سترى كم هى جافة ! .. انى أحسن الكذب . أليس كذلك أيها الحاجب ؟ ..

الفارس : بعض السكون يا أوندين .

اوندين : أنت قبيح جدا وأنا اكرهك ! انى لا اكذب هذه المرة !

الفارس : هلا سكت ! ماذا يعنى مكانى على المائدة يا صاحب السعادة ؟ هل تجلسنى بعد سالم ؟

الحاجب : فى الواقع أيها الفارس .

الفارس : لى الحق فى المكان الثالث بعد الملك وفى الشوكة الفضية .

الحاجب : كان لك الحق فى ذلك . وحتى فى المكان الأول وفى الشوكة الذهبية اذا كانت تحققت بعض المشاريع ولكن زواجك يعطيك المكان الرابع عشر والملعقة ..

اوندين : ما أهمية هذا يا عزيزى هانز ! لقد رأيت أطباق الطعام ، توجد أربعة عجول كاملة . انى متأكدة أنه سيكفى الجميع .

(ضحك)

الفارس : ماذا يضحكك يا برترام ؟ ..

برترام : أضحك عندما يكون قلبى سعيدا أيها الفارس ..

اوندين : لن تمنع الناس من الضحك يا هانز ؟

الفارس : انه يضحك منك .

اوندين : انه لا يضحك منى بخبث . انه يضحك لأنه يجدنى ظريفة . اننى ظريفة دون أن أقصد أن أكون كذلك ـ ولكننى ظريفة . انه يضحك لأنه يستلطفنى .

برترام : هذا صحيح يا سيدتى .

الفارس : زوجتى لا يجب أن تكون مصدرا للضحك حتى لو كان هذا لأنهم يستلطفونها !

اوندين : اذن لن يضحك بعد الآن ، لأنه لا يرغب فى مضايقتى أليس كذلك أيها الفارس ؟

برترام : سأبتعد يا سيدتى عن كل ما لا ترغبين فيه .

اوندين : لا تحقد على زوجى .. ان هذا يرضى غرورى عندما يسهر على كل ما يخصنى .. ألا ترى ذلك أيها الفارس ؟

برترام : اننى أحسده على كونه الوحيد الذى فى استطاعته عمل هذا .

الفارس : من يسألك عن رأيك يا برترام ؟

اوندين : أنا يا عزيزى أنا .. ربما كنت تحتاج الى دروس من الحاجب يا هانز . لا تكن عصبيا . اقتد بى .

لن يستطيع الرعد ولا الطوفان أن يمحوا هذه الابتسامة من على شفتى .

يقترب الساحر منها فتتعرف فيه على خالها .

أوندين : (بصوت منخفض) ها أنت ؟ لماذا أنت متخفى ؟ أى عمل سيىء تدبره ؟

الساحر : سترينه . هذا من أجل صالحك . أرجو المعذرة اذا كنت تجدينني متطفلا .

أوندين : بشرط واحد أغفر لك .

الساحر : اننى أستمع اليك .

أوندين : آه يا خالى العزيز ! اننى أحتاج الى هدوئى ! اسمح لى لهذه الحفلة فقط الا أرى ما يفكر فيه الآخرون . فالمرء يخسر دائما .

الساحر : فيما أفكر ؟

أوندين : (تقرأ أفكاره ، يبدو عليها الرعب) اغرب عنى ! ..

الساحر : لن تمر دقيقة حتى تناديننى يا أوندين ..

(يعلنون قدوم الملك) .

المنظر العاشر

الملك . الملكة . الحاشية . برتا .
نفس الاشخاص فى المنظر السابق

الملك : سلام أيها الفارس ! سلام يا صغيرتى أوندين !

(أوندين تلمح برتا وتبدو وكأنها لا ترى أحدا سواها)

الحاجب : أدى التحية ، يا سيدتى !

(تؤدى التحية بطريقة آليه دون أن ترفع عينيها عن برتا)

الملك : اننى أستقبلك ككل اللائى واللاتى أريد أن أحبهم يا طفلتى الجميلة فى قاعة هرقل المقدسة . اننى أعبد هرقل ولقبه من أعز أسمائى . لست من الذين يشتقون اسمه من هرسوليه الذى يجمع الضفادع .. لا توجد ضفادع فى تاريخ هرقل . الضفدعة هى الحيوان الوحيد الذى لا يمكن أن تتصوره فى أعمال هرقل . الأسد ، النسر ، الثعابين المائية كل هذا ممكن أما الضفدعة فلا . أليس كذلك أيها السيد الكوان

السيد الكوان : فى هذه الحالة كان لابد من ارادة صلبة لا رخوة منهارة .

الملك : ولكننى أؤثر يا أوندين .. أعماله .. تعرفين على ما أظن عدد الأعمال التى قام بها هرقل ؟

الحاجب : (يهمس) تسعة ..

اوندين : (دون أن ترفع عينيها عن برتا) تسعة يا صاحب السمو ..

الملك : حسن جدا . الحاجب يهمس بصوت مرتفع قليلا ، ولكن صوتك يبدو ساحرا حتى بالنسبة لكلمة فى مثل هذا الاختصار . سيكون أصعب عليه أن يهمس لك بوصف كامل لسادس أعماله . ولكنها هنا فوقك يا صغيرتى أوندين فى هذه اللوحة . انظرى ! .. من هذه السيدة التى تريد أن تغرى هرقل وقد اكتسى وجهها بالسحر وامتلأ قلبها بالخيانة ..

اوندين : (وهى ما زالت تنظر الى برتا) انها برتا ..

الملك : ماذا تقول ؟

أوندين : (تتجه نحو برتا) .

اوندين : أنت ، انك لن تحصلى عليه أبدا !

برتا : ما الذى أحصل عليه أبدا !

اوندين : أبدا ، لن يكون لك أبدا !

الملك : ما بالها هذه الطفلة ؟

الفارس : أوندين الملك يتحدث اليك ..

أوندين : اذا كلمته كلمة ، اذا لمسته أقتلك ..

الفارس : هلا سكت يا أوندين !

برتا : مجنونة !

أوندين : أيها الملك ، انقذنا !

الملك : أنقذك مم يا فتاتى الصغيرة ؟ أى خطر يهددك فى هذا الحفل المقام من أجلك !

الفارس : اغفر لها .. اغفر لها ..

اوندين : اسكت أنت ، انك معهن ، معهن جميعا ! لقد أصبحت فى صفهم دون أن تدرى ..

الملك : افصحى يا أوندين !

اوندين : أيها الملك ، أليس ذلك فظيعا ! أن يكون لك زوج أعطيت من أجله كل ما تملك فى هذه الدنيا .. وهو قوى .. شجاع .. وجميل ..

الفارس : أتوسل اليك يا أوندين ..

اوندين : اسكت . أنا أعرف ما أقول .. أنت غبى ولكنك جميل . وجميعهن يعرفن ذلك . وكلهن يقلن لأنفسهن : يا له من حظ أن يكون فى مثل هذا الجمال وهذا الغباء ! لأنه جميل سيكون محبوباً وسيسهل اغراؤه لانه غبى

برترام : امرأة رائعة !

اوندين : ألست على حق أيها الفارس !

الفــارس : فيم تفكرين يا أوندين ؟

اوندين : ما اسمك أنت يا من تجدنى رائعة !

برترام : برترام يا سيدتى .

الفــارس : اسكت !

برترام : عندما تسألنى سيدة عن اسمى أذكره لها أيهــا الفارس .

الملك : أرجوكم .

الحـاجب : الفيـكونت والفيكونتيس يقتربان لتقبيـل الأيادى !

برتا : أبى ، فلاحة تأتى وتهين ابنتك التى تبنيتها فى قصرك الا تعتقد أن هذا كثيرا .

الفـارس : يا صاحب السمو . أرجو أن تأذن لى أن أنسحب الى غير عودة ، عندى زوجة رائعـة ولكنهـا لا تصلح لكل الناس ..

أوندين : أرأيت كم هما متفاهمان !انهما الرياء نفسه !

الملك : برتا ليست مرائية يا أوندين .

أوندين : بل انها لكذلك . هل كانت لديها الجرأة أبدا لتحدثك عن ..

الحـاجب : أيتها الفارسة !

الملك : عن نسبى مع هرقل عن طريق سلفى أمفال ؟ .. ان هذا لا يخجلنى يا صغيرتى أوندين .

أوندين : لا ، عن سنطتك بكل بساطة . عن سنطتك التى هى أجمل سنطه يمكن لملك أن يحملها والتى لا يمكن أن تعطيها الا سلحفاه فيما وراء البحار .

(تشعر بخطئها وتحاول ان تصلح الامور)

أين أمكنك لـــها ؟ عند أعمـدة هرقل ؟

الحاجب : المارجراف يقتربون لاحتفال ربطة الساق ..

الملك : يا صغيرتي أوندين ، هدئي من روعك . نعم انك تعجبينني ، أن تدوي هذه الأسقف بصوت الحب نفسه هذا أمر نادر يروق لي . ولكن من أجل سعادتك اتبعي نصائحي ..

اوندين : أوه أنت سأصدقك بدون مناقشة .

الملك : برتا فتاة لطيفة ، مخلصة ولا تطلب الا أن تحبك .

اوندين : آه لا ! هذا هو الخطأ بعينه !

الفارس : أرجوك أن تسكتي .

اوندين : أتسمى لطيفة فتاة تقتل العصافير ؟

الملك : ما قصة هذه العصافير ؟ لماذا تقتل برتا العصافير ؟

أوندين : لتبلبل أفكار هانز !

الملك : أستطيع أن أقسم لك أن برتا ..

برتا : أبي ، كنت قد أمسكت بعصفوري عندما سلم على هانز وأمسك بيدي ولكنه ضغط عليها بشدة .

اوندين : لم يضغط عليها بشدة أكثر من اللازم . ان قبضة أضعف امرأة تصبح كقشرة من رخام لتحمى طائرا حيا . لو كانت يدى هى التى تحوى هذا العصفور لكان فى استطاعة هرقلك يا صاحب السمو أن يضغط بكل قواه . ولكن برتا تعرف الرجال .
كان العصفور فى أمان فى يدها ولكنها سحقته .

الفارس : أنا الذى ضغطت بشدة أكثر من اللازم .

اوندين : هى التى قتلته !

الحاجب : يا صاحب السمو البارونات الأحرار وزوجاتهم ..

الملك : أوندين ايا كان هو أو هى ستقسمين لى أنك ستتركين منذ الآن برتا فى أمان ..

اوندين : اذا كنت تأمر بهذا ، فأنا أقسم لك .

الملك : أنا آمر به .

اوندين : اذن أقسم لك .. بشرط أن تسكت !

الملك : ولكن أنت التى تتكلمين ! ..

اوندين : انها تحدث نفسها . وأنا أسمع كل شيء .. اسكتى يا برتا !

الفـارس : اطلبی الصفح من برتا یا أوندین !

اوندين : شعرى ؟ ماذا يمكنها أن تقول عن شعرى ! افضل شعرى المنساب على ضفائرها التى تشبه الأفاعى . انظر اليها يا صاحب السمو ان بهـا حيات بدلا من الشعور !

الفـارس : اعتذرى ! ..

اوندين : ولكن ألا تسمعها ! ألا تسمعونها ! تقول انى بهذه الفضيحة أضيع نفسى بنفسى وأن أسبوعا من هذه التصرفات البلهاء سينزع منى زوجى ولن يبقى لى الا أن أنتظر حتى أموت من الحزن .. هذا ما تقوله برتا اللطيفة ، هذا هو ما تصرخ به آوه يا عزيزى هانز خـذنى بين ذراعيك أمامها حتى تذلها ..

الفـارس : لا تلمسينى .

اوندين : قبلنى أمامها ! لقد أعدت الحياة للعصفور . انه حى الآن فى قفصه .

برتا : يا لها من مجنونة !

اوندين : أنت قتلته ! وأنا أحييته ! .. من المجنونة منـا نحن الاثنين ، من المذنبة ؟

الملكة : أيتها الطفلة المسكينة !

اوندين : الا تسمعونه ؟ .. انه يغنى .

الملك : هل استعراضك الترفيهى على استعداد يا صاحب السعادة .
انا فى أشد الحاجة اليه .

أوندين : هل أنت حاقد على يا هانز العزيز ؟

الفارس : لست حاقدا عليك ولكنك كسيتنى بالعار . لقد جعلت منا اضحوكة البلاط .

أوندين : فلنغادر هذا المكان . الملك هو الشخص الوحيد الطيب هنا والملكة هى الجميلة الوحيدة .. فلنرحل ..

الحاجب : (وقد أعطاه الساحر اشارة) .
ذراعك للكونتيسة برتا أيها الفارس .

أوندين : ذراعه لبرتا . لن يحدث هذا أبدا ..

الحاجب : انه البروتوكول يا سيدتى .

الفارس : اعطنى يدك يا برتا ..

اوندين : يدها ، أبدا ! على العموم ستعرف يا هانز . اسمع من تكون برتا .. أنتم جميعا ، انتظروا ، اسمعوا ، اسمعوا من تكون الكونتسه برتا وما يستوجبه نحوها البروتوكول !

الفـارس : أوندين هذا كثير ..

الملكة : دعوني أريد أن أتحدث الى هذه الطفلة ..

اوندين : أوه نعم ، عندى سر أريد أن أقوله الى الملكة !

الملك : فكرة صائبة يا ايزولت .

أوندين : ايزولت ! أيها الملك هل زوجتـك هى الملكة ايزولت ؟

الملك : ألم تكونى تعلمين ؟

اوندين : وتريستان ؟ أين هو تريستان ؟

الملك : لا أرى العلاقة يا أوندين . ، هدئيها يا عزيزتى ، ايزولت . (الجميـع يخرجون ما عدا الملكة وأوندين) .

المنظر الحادى عشر

ايزولت . اوندين

ايزولت : تدعين أوندين أليس كذلك ؟

اوندين : نعم وأنا احدى جنيات البحر .

ايزولت : كم تبلغين من العمر ؟ خمسة عشر عاما ؟

اوندين : خمسة عشر عاما . وأنا مولودة منذ قرون . ولن أموت أبدا ..

ايزولت : لماذا ضللت طريقك وجئت بيننا ؟ كيف استطاع عالمنا أن يعجبك ؟

اوندين : عبر شاطىء البحيرة المائل كان يبدو رائعا .

ايزولت : هل ما زال كذلك . منذ الوقت الذى تعيشين فيه جافة ؟

اوندين : هناك آلاف الوسائل لايجاد المياه أمام أعيننا .

ايزولت : آه فهمت ! حتى تبدو لك الحياة رائعة من جديد تفكرين فى موت هانز ؟ وحتى تبدو لك سيداتنا رائعات تظنين أنهن سيأخذن منك هانز ؟

اوندين : يردن أخذه منى أليس كذلك .

ايزولت : الأمر يبدو كذلك . ولكنك تعطينـه أهميـة كبرى .

أوندين : هذا هو سرى أيتها الملكة . ان سرى يكمن هنا . اذا أفلحن فى أخذه منى سوف يموت ! ان هذا فظيع !

الملكة : اطمئنى لسن بهذه القسوة .

اوندين : بلى ! بلى ! سوف يموت لأننى وافقت على أن يموت اذا خاننى .

ايزولت : ماذا تقولين ؟ هل هذه العقوبة عند جان البحر ؟

أوندين : أوه لا ! عند جان البحر لا توجد زوجات غير مخلصات الا عن طريق الخطأ أو التشابه الكبير أو لأن البحر كان هائجا . ولكن الجنيات تتفق فيما بينهن على أن يظل الخائن غير المتعمد على جهله بالأمر .

ايزولت : وكيف يمكنهم أن يعرفوا أن هانز يستطيع أن يخونك ؟ كيف يمكنهم فهم كلمة الخيانة ؟

أوندين : لقد تعلموها فجأة . عندما رأوه . لم يتكلموا قط عن الخيانة . لم يتكلموا عنها أبدا قبل مجىء

هانز ولكنهم رأوا رجلا جميلا على حصان ، الاخلاص على وجهه والصدق فى فمه وعندئذ كلمة خيانة جرت حتى أعماق المياه ..

ايزولت : يا لهم من مساكين جان البحر !

اوندين : وعندئذ اخذ كل ما كان فى هانز يعطينى الثقة ، نظرته المستقيمة وكلامه الواضح كل هذا كان يبدو لهم كما لو كان نذيرا للمتاعب ، كما لو كان نفاقا . يجب أن نعتقد أن الفضيلة فى الرجال ما هى الا كذبة فظيعة . لقد قال لى أنه سيحبنى دائما ..

ايزولت : وكلمة يخون ولدت فى الأمواه .

اوندين : الأسماك أنفسها كانت تتهجاها . وفى كل مرة أخرج فيها من الكوخ لأقص عليهم غرام هانز وأهزأ بهم كان الجميع يصرخون فى وجهى بهذه الكلمة عن طريق الفقاعات أو عن طريق بعض الأصوات — وكنت أقول لهم أنه غاضب من أجل سمكته التى ألقيت بها . انه جائع ، وكانت اسماك البلطى تقول نعم انه يخونك لقد أخفيت لحم الخنزير وقالت الأسماك

الضغيره نعم انه يخونك — ها نحس لسمك
الصغير .

ايزولت : ليست عندى أية فكرة .

اوندين : ذبابات صغيرة قدرة نعاس صغيرة قذرة
ولكنه لم يلمسهن ولم يقبلهن . كنت فخورة به . وقد
تحديتهن . وقلت لهن انه لن يخوننى أبدا .
ولكنهن هزأن بى وعندئذ أخطأت وقبلت
الشروط .

ايزولت : أية شروط ؟

اوندين : خالى قال لى — هل تسمحين لى بقتله
اذا خانك ؟ لو أننى قلت لا لكان معنى ذلك
اذلال هانز أمامهم . كان معناه تحقير هانز
أمامهم . كان معناه أننى أحتقر نفسى ! فقلت
نعم .

ايزولت : سوف ينسون . سوف يغيرون رأيهم .

اوندين : أوه ! لا تعتقدى هذا . فالوسط الذى يمكن فيه النسيان والذى يغيرون فيه الأراء والذى يتسم بالأنسانية — فى هذا العالم — كما تقولون صغير جدا . أما عندنا فالأمر كما هو عند المتوحشين وكما هو عند أوراق الدردار وكما هو عند الديدان لا يوجد عدول عن الأمر ولا تسامح .

ايزولت : ولكن أى سلطان لهم عليه ؟

اوندين : كل ما هو موج أى ماء يراقب هانز الآن . اذا اقترب من بئر يرتفع فجأة مستوى الماء فيه . اذا أمطرت السماء تتضاعف غزارة المطر عند السقوط عليه . انه ثائر . سترين ، عندما يمر بالقرب من نافورات الحديقة ترتفع المياه غاضبة نحو السماء .

ايزولت : هل تريدين نصيحتى يا صغيرتى العزيزة أوندين ؟

اوندين : نعم أنا أوندين الجنية .

ايزولت : يمكنك الاستماع الى . انك فى الخامسة عشر من عمرك .

اوندين : سيكون عمرى خمسة عشر عاما بعد شهر .
وقد ولدت منذ قرون ولن أموت أبدا .

ايزولت : لماذا اخترت هانز ؟

اوندين : لم أكن أعرف أنهم يختاروا عند بنى البشر .
عندنا لا يختارون وانما تختارنا عواطف كبيرة .
وأول من يأتى من جان البحر يظل هو الوحيد
الى الأبد . هانز هو أول رجل رأيته . لا أستطيع
أن أختار أكثر من ذلك .

ايزولت : أوندين اختفى ! اذهبى الى حالك !

اوندين : مع هانز ؟

ايزولت : اذا أردت ألا تتألمى ، اذا أردت أن تنقذى هانز ،
القى بنفسك فى أول نبع للماء يقابلك ..
اذهبى !

اوندين : مع هانز ؟ انه قبيح جدا فى الماء !

ايزولت : لقد أمضيت مع هانز ثلاثة أشهر من السعادة .
يجب أن تقنعى بذلك . ارحلى قبل فوات
الأوان .

اوندين : أترك هانز ؟ لماذا ؟

ايزولت : لأنه لم يخلق لك . لأن روحه صغيرة .

اوندين : أنا ليس لى روح . هذا أسوأ!

ايزولت : الموضوع لا يخصك ولا يخص أى مخلوق غير آدمى .

الانسان فتت بغباء الروح العامة
لا توجد روح عند بنى الانسان وانما مجموعة
من أجزاء صغيرة من الروح حيث تنمو أزهار
ضئيلة وخضروات ضئيلة . أرواح الانسان
بالفصول الكاملة ، بالرياح لكاملة بالحب
الكامل هذا ما كان يلائمك وهذا نادر جد

اوندين : كان لدينا واحدا من تلك الأرواح ! كان
لا يعوم الا على ظهره ليرى السماء ! وكان
يأخذ بين زعانفه جماجم لجنيات البحر ويتأملها .
وكان يلزمه احد عشر يوما من الخلوة والعناق

قبل ممارسة الحب . لقد مللناه جميعا حتى المسنات منا كن يتحاشينه لا ، الرجل الوحيد الذى يستحق الحب هو الذى يشبه جميع الرجال والذى له لغة وملامح جميع الرجال . الذى لا نميزه عن الآخرين الا بأخطائه وسرعة تصرفه ..

ايزولت : انه هائز .

اوندين : انه هائز .

ايزولت : ولكن ألا ترين أن كل ما هو كبير عندك لم يحبه هائز الا لأنه يراه صغيرا . أنت النور وقد أحب شقراء . أنت الرشاقة وقد أحب شقية أنت المغامرة عامة وقد أحب مغامرة واحدة .. بمجرد أن يشك فى خطئه ستفقدينه ..

اوندين : لن يراه . لو كان برترام ، برترام كان يراه . ولكانت نفسى حدثتنى بالخطر . من بين جميع الفرسان اخترت أكثرهم غباء ..لن يعرف

ايزولت : أغبى الرجال يرى دائما بوضوح كاف ليصبح أعمى .

اوندين : اذا كان الرجال لا يعـرفون كيف يتحملون الحقيقة سأكذب !

ايزولت : سواء أكنت تبحثين عن الحقيقة أو الكذب يا صغيرتى العزيزة لن تخدعى أحدا وستقدمين للرجال أبغض الأشياء اليهم .

اوندين : ألاخلاص ؟

ايزولت : لا . بل الشفافية . انهم يخافونها . تبدو لهم وكأنها أبشع سر . بمجرد أن يلاحظ هانز أنك لست بقايا الذكريات وأنك لست أكواما من المشروعات وأكداسـا من المشـاعر والارادة سيشعر بالخوف وسيكون فى هذا ضياعك . صدقينى اذهبى ، انقذيه !

اوندين : أيتها الملكة ، ذلك أننى لن أنقذه بذهابى . اذا عدت الى عالم الجان . سيتسابقون من حولى وقد جذبتهم الرائحة الآدمية وسيطالبنى خالى

بالزواج من أحد الجان . سأرفض وفى فورة غضبه سيقتل هانز .. يجب أن أنقذ هانز وهو على الأرض . لا ! يجب أن أجد على الأرض الوسيلة التى بها أخفى عن خالى أنه يخوننى ، اذا جاء اليوم الذى يكف فيه عن حبى . ولكنه ما زال يحبنى أليس كذلك ؟

ايزولت : بدون أدنى شك . بكل قواه !

اوندين : اذن فيم البحث أيتها الملكة ! ان العلاج بأيدينا ! لقد جاءتنى الفكرة منذ لحظة أثناء المشاجرة . فى كل مرة حاولت فيها أن أبعد هانز عن برتا لم أستطع الا أن أدفعه نحوها . بمجرد أن أسىء القول فى برتا يأخذ صفها .. سأتصرف بالعكس ! سأقول له عشرين مرة فى اليوم انها جميلة ، وانها على حق . عندئذ ستفقد أهميتها عنده وستكون هى المخطئة . سأعمل على أن يقابلها كل يوم ، لتكون أكثر الأشياء اشراقا فى الشمس وفى زى البلاط . عندئذ لن يرى الاى . عندى بالفعل مشروع وهو أن تأتى برتا لتسكن معنا فى قصر هانز .. وهكذا يقضون كل حياتهم معا ؟ وسيكون هذا كما لو كانت بعيدة . سأتعلل بمختلف الأعذار لأتركهما بمفردهما ، فى النزهة وفى أثناء الصيد سيكون هذا كما لو كانوا بين

مجموعة من الناس . سيقرآن معا مخطوطاتهما جنبا لجنب ، سيتأملها وهى ترسم حروفهـا وجها لوجه ، وسيتقاربان ويتلامسان وعندئذ سيشعران أنهما مفترقان ولن تكون عندهما أية رغبة . وعندئذ ساكون كل شىء بالنسبة لهانز .. كم أفهم الرجال : أليس كذلك ! .. هذا هو علاجى ..

(ايزولت تقوم وتأتى لتقبلها)

أوه أيتها الملكة ايزولت ماذا تفعلين !

ايزولت : ايزولت تقول لك شكرا .

اوندين : شكرا ؟

ايزولت : شكرا على درس الحب .. فلتحكم السماء . ويأخذ مجراه العلاج الذى وجدته أوندين ..

اوندين : نعم أنا أوندين جنية البحر .

ايزولت : وسحر الخمسة عشر عاما ..

اوندين : خمسة عشر عاما بعد شهر وقد ولدت منذ قرون ولن أموت أبدا ..

الملكة : ها هم ..

اوندين : يا للسعادة ! سأستطيع أن أطلب الصفح من برتا !

المنظر الثانى عشر

نفس الأشخاص . الملك . جميع الحاضرين

اوندين : آسفة يا برتا !

الملك : أحسنت يا صغيرتى ..

اوندين : كنت على حق ولكن بما أنه لا يطلب الصفح الا المخطىء اذن فأنا مخطئة . برتا . انى آسفة .

الفارس : أحسنت يا عزيزتى أوندين ..

(فى هذه اللحظة يظهر الساحر وتراه اوندين)

اوندين : أحسنت .. ولكنها تستطيع أن تجيبنى ! ..

الفارس : كيف ؟

اوندين : أنا هنا أنحنى أمامها أنا التى أعلى منها بكثير ، ذليلة أمامها أنا التى أشعر بعزة النفس تطؤنى حتى أكاد أظن أننى خامل ، ولا تتنازل حتى لترد على !

برترام : هذا صحيح ، برتا كان يمكنها أن ترد عليها ..

اوندين : أليس كذلك يا برترام !

الفـارس : لا تتدخل فيما لا يعنيك ..

اوندين : بل يتدخل . انني أعنى الكثير له .

الفـارس : سنرى هذا حالا يا برترام !

الملك : برتا ، هذه الطفلة تعترف بأخطائها . لا تطيلى فى هذه الحادثة المؤلمة لكل واحد منا .

برتا : حسن . اننى أصفح عنها .

اوندين : شكرا يا برتا .

برتا : بشرط أن تحمل ذيل ثوبى فى الاحتفالات .

اوندين : نعم يا برتا .

برتا : ذيل ثوبى ذو الاثنى عشر قدما .

اوندين : كلما زاد عدد الأقدام التى يفصلنى عنك زادت سعادتى يا برتا .

برتا : وبشرط ألا تنادينى برتا بعد الآن بل يا صاحبة السـمو .

الملك : انك مخطئة يا برتا .

برتا : وبشرط أن تقول علنا أمام الجميع أننى لم أقتل العصفور .

اوندين : سأقوله . ستكون كذبة .

برتا : هل ترى يا والدى ، أية صفاقة !

الملك : لن تبدآ من جديد ! ..

اوندين : صاحبة السمو برتا لم تقتل العصفور . هانز لم يمسك بيدها .. وبما أن هانز لم يمسك بيدها اذن فهو لم يضغط عليها .

برتا : انها تهينني !

اوندين : صاحبة السمو برتا لا تمضى أوقاتها فى فقأ عيون عصافيرها حتى تغنى ! وفى الصباح عندما تقفز صاحبة السمو برتا من السرير لا تضع أقدامها فوق سجادة مصنوعة من مائة ألف عصفورة ميتـة .

برتا : هل تتحمل يا والدى أن ترانى أسب هكذا أمامك !

الملك : لماذا تثيرنها ؟

الفـارس : انك توجهين كلامك الى الابنة التى تبناها الملك يا أوندين ! ..

اوندين : الى ابنة الملك ! هل تريد أن تعرف من هى ابنة الملك ! هل تريدون أن تعرفوا انتم جميعـا يا من ترتعدون أمامها !

الفارس : أوه يا أوندين انك تذكرينني بدناءة النسب ويا لها من خطيئة .

اوندين : دناءة النسب يا عزيزي الأعمى ! هل تريد أن تعرف من أية ناحية يأتي النسب الوضيع . هل تعتقد أن برتا ولدت من أبطالكم ! انني أعرف والديها ! انهما صيادان على البحيرة . لا يسميان بارسيفال ولاكودرون بل يسميان أوجست وأوجيني .

برتا : هاتز أسكتها والا لن أراك طول حياتي ! ..

اوندين : أنت هنا يا خالي ! النجدة !

الفارس يريد ان يسحبها بالقوة : اتبعيني !

اوندين : اظهر لهم الحقيقة يا خالي ! أوجد وسيلة لتظهر لهم الحقيقة ! استمع الى هذه المرة فقط . النجدة ! ..

تطفأ الانوار فجأة بينما يعلن الحاجب :

الحاجب : يا صاحب السمو ، اليكم هذا المشهد التمثيلي ..

المنظر الثالث عشر

يصور قاع المسرح شاطىء البحيرة وكوخ اوجست . ملك جان البحر يتامل فى مهد من الخوص طفلة صغيرة تحملها اليه جنيات البحر . ممثل وممثلة فى زى سلامبو وماتو يتدافعان من جانبى المسرح ..

الساحر : من هما هذان الشخصان ؟ ليس لهما عمل هنا .

الحاجب : أنهما المغنيان فى مسرحية سلامبو . استحال علينا منعهما .

الساحر[1] : أسكتهما .

الحاجب : اسكات المغنيين فى سرحية سلامبو ؟ هذا هو العمل الثامن لهرقل .

منظر العرض

احدى جنيات البحر تنظر الى الطفلة الصغيرة .

ها هى ؟ ماذا يجب أن تفعل بها ؟

ملك جان البحر .

اتركوا لها صليب أمها ..

(ماتو وهو يغنى) .

يا ملك الموج ، لقد عضتنى ! ..

ملك جان البحر

أعيدوا لهـا شخشيختها التى صـنعها لهـا أوجست من قواقع البحر .

سلامبو تغنى

يا لها من شيطانة ! انها تخربشنى !

ملك جان البحر

اتركوا عليها كل علامة تكشف الستار ، عن سر ولادتها عندما أريد .

سلامبو تغنى

هل صحيح أن أحد الأمراء سيعثر على هذه

السلة بين أعواد البوص ويجعل منها مهدا فى قصر اللوفر ؟

ملك جان البحر .

نعم بالنسبة لنا سكان الماء هذه فتاة روحها تافهة أنك تفقدين من الكرامة الانسانية وتتحولين من صيادة الى ملكة ولربما وجدت فى ذلك السعادة .

جميع الجنيات .

يغرق الشرير فى غروره .

ملك الجان .

ولكن اذا حدث فى يوم رخى أو جاف أن سببت الفشل لجان البحر ..

سلامبو وهى تغنى .

خذنى وخذ قرطاجنه معى !

ملك الجان .

نيكول Nicole ، برتيل Berthilde
اسكلارمونت Esclamonde أيا كان اسمك فى هذا العالم العلوى .
فسيشهد الصليب والشخشيخة على أصلك الوضيع .

ماتو يغنى .

ها أنت عارية ! آه ما أجمل جبهتك !

احدى الجنيات .

ولكن الصليب سريعا ما يتحطم ..

احدى الجنيات .

والعاج يغرى السارق ..

سلامبو تغنى .

الليل بارد . وهذا يدهشنى .

ماتو وهو يغنى .

ضعى هذا الشال على كتفيك .

ملك الجان

ولذلك يا فتياتى الجنيات .

على أكتافها الصبية .

بسبابتى التى تختم كالقطران .

سأرسم السمكة والصليب .

سلامبو تغنى

أخيرا حصلت عليه !

ماتو وهو يغنى

من . أنا ؟

سلامبو تغنى

وأضيف بوضوح الحروف الأولى من أسماء
الوالدين حتى لا تنكرى بأية حال لبن أمك
أوچينى ! ..

قومى يا برتا اذا كانت عندك الجرأة واكشفى
عن عنقك الوردى !

(يضىء النور . ذهول فى القاعه . تقوم برتا)

اوندين : هيا اجرؤى على ذلك يا برتا !

برتا : بل أجرؤى عليه أنت .

اوندين : هو ذا !

تمزق غطاء برتا . على كتف برتا تظهر
الاشارات .
سلامبو وماتو .

اوندين : هل هم حاضرون هنا يا خالى ؟

الساحر : انهم آتون .

يدخل اوجست واوجينى الى القاعة ويندفعان نحو برتا .

اوجست : ابنتى ! ابنتى العزيزة !

برتا : لا تلمسنى يا هذا ! تفوح منك رائحة السمك ! جميع الجنيات فى عتاب : أوه ! أوه !

اوجينى : طفلتى ! .. كم طلبت من الله !

برتا : يا الهى انى أطلب منك على الأقل أن تجعلنى يتيمة !

الملك : عار عليك أيتها الفتاة ! اذن فحبك لى كان من أجل عرش . ما أنت الا محدثة وناكرة للجميل . اطلبى الصفح من والديك ومن أوندين .

برتا : مستحيل !

الملك : افعلى ما تشائين ولكن اذا لم تطيعينى سأبعدك عن المدينة وستنهين حياتك فى الدير .

برتا : لقد انتهت حياتى ..

الجميع يخرجون ما عدا أوندين ، برتا والفارس .

المنظر الرابع عشر

برتا ، اوندين ، الفارس

أوجست واوجينى يقفان فى اقصى القاعة . تيجان من الذهب تبدو وكانها موضـــوعة على رؤوسهم عندما تتحدث أوندين عن عظمتهم وتصفهم كما لو كانوا ملوكا .

اوندين : عفو يا برتا !

برتا : اتركينى ..

اوندين : لا تجيبينى الآن ، لم أعد فى حاجة الى جواب .

برتا : الشفقة أقسى على من الجبن .

الفــارس : لن نتركك يا برتا !

اوندين : سأركع أمامك يا برتا ! لقد ولدت من صياد !

الفــارس : ماذا ستفعلين الآن يا برتا ؟

برتا : فعلت دائما ما أملته على ظروف ..

اوندين : كم أحسدك ! ستفعلين ما تفعله بنات الصيادين !

الفــارس : لا تلحى فى هذا يا أوندين .

اوندين : سألح يا هانز . يجب أن تفهم برتا من هى . كما يجب أن تفهم أنت كذلك . أوجست ملك

عظيم فى مملكة عظيمة . عندما يقطب أوجست
حاجبيه ترتعد ملايين الأسماك .

الفارس : أين تذهبين يا برتا ؟

برتا : أين أستطيع الذهاب ؟ الجميع يولون عنى .

أوندين : تعالى معنا . هل تستضيف شقيقتى يا هانز ؟ لأن برتا هى أختى الاكبر . ارفعى رأسك يا برتا . لقد ورثت وقارك من أوجينى . أوجينى ملكة عندنا . تقول الأسماك نبيلة مثل أوجينى .

الفارس : لا نريد بعد الآن أن نعيش فى البلاط يا برتا . أوندين على حق تعالى منذ الليلة معنا .

أوندين : اصفحى عنى يا برتا . اغفرى لى ساعات غضبى . انى أنسى دائما أنه بالنسبة للبشر ما حدث لهم لا يمكن أن يصبح كما لو لم يكن حدث . ما أصعب الحياة عندكم بهذه الكلمات التى لم ينطق بها الا مرة واحدة والتى مع ذلك لا يمكن تداركها . هذه الأفعال التى حدثت وأصبحت خالدة . كم تكون الفائدة عظيمة لو أن كلمات الكراهية من الغير تنقش عندنا كما لو كانت كلمات حب ! .. هذا ما يحدث لى فى كل ما يخصكم ..

الحاجب وقد مد رأسه الى الداخل : يريد الملك أن يعرف ما اذا كان الاعتذار قد طلب أم لا .

اوندين : نعم ، وهي راكدة .

الفارس : تعالى يا برتا . ان قصرى واسع . ستعيشين فيه كما يروق لك ، بمفردك اذا أردت أن تعيشى وحيدة فى الجناح الذى يطل على البحيرة .

اوندين : آه ! هل توجد بحيرة بالقرب من قصرك ؟ اذن برتا تأخذ الجناح الآخر .

الفارس : الجناح الذى يطل على نهر الرين ؟ كما تريد .

اوندين : نهر الرين ؟ الرين أيضا يمر بمحازاة قصرك .

الفارس : من ناحية الشرق فقط . فى الجنوب توجد الشلالات . تعالى يا برتا .

اوندين : أوه يا هانز ، ألا تملك قصرا يطل على المراعى من غير بحيرات ولا ينابيع ؟

الفارس : هيا يا برتا ، سألحق بك .

الفارس يأتى نحو اوندين .

الفارس : لماذا هذا الخوف من المياه ؟ ما الذى بينك وبين الماء ؟

اوندين : بين الماء وبينى ، لا شىء .

الفارس : اذا كنت تعتقدين أننى لا أراك . انك لا تتركيننى أبدا لأقترب من أى نهر . وتضعين نفسك بين البحر وبينى . واذا جلست على سور أحد الآبار تسحبيننى بعيدا .

اوندين : احذر المياه يا هانز .

الفارس : نعم ، قصرى يقع بين الأمواه ، وسآخذ فى الصباح حمامى تحت الشلالات وسأصطاد عند الظهيرة على بحيرتى وفى المساء سوف أغطس فى الرين . اننى أعرف مكان كل دوامة وكل هوه . اذا كانت المياه تعتقد أنها تستطيع أن تخيفنى فهى مخطئة فى هذا . المياه لا تعى شيئا . المياه لا تسمع شيئا !

يخرج . كل نافورات المياه حول القاعة ترتفع فجاة .

اوندين : لقد سمعته .

(تتبعه)

الحاجب : آه لقد أجدت ! اننى أتوق لمعرفة الخاتمة . الى متى البقية ؟

الساحر : الساعة اذا أردت .

الحاجب : ولكن ما هذا الوجه ؟ ان بى تجاعيد الآن ! لقد أصبحت أصلعا .

الساحر : هذه ارادتك . فى ساعة واحدة مرت عشرة سنوات .

الحاجب : عندى طقم أسنان ؟ اننى أتمتم ؟

الساحر : أيجب أن أستمر يا صاحب السعادة ؟

الحاجب : لا لا ! استراحة ! استراحة !

ســـتار ..

الفصل الثالث

فناء القصر . ساعة الصباح فى يوم زواج برتا والفارس

المنظر الاول

برتا . هانز . خدم

احد الخدم : لقد اتخذ الكورال مكانه بين الكورس .

هــانز : ماذا تقول ؟

احد الخدم : يتحدث عن المغنين الذين سيحيون حفلة زفافك .

هــانز : وأنت ألا يمكنك أن تتكلم بطريقة أخرى ؟ ألا يمكنك التحدث بلغة أبسط من هذه ؟

احد الخدم : حياة مديدة لبرتا ! فلتحيا العروس !

هــانز : أغرب عن وجهى ! ..

برتا : لم هذا الغضب يا هانز فى يوم كهذا ؟

هــانز : كيف ؟ أنت أيضا !

برتا : سأصبح زوجتك ، وتتجهم وجهك هكذا !

هــانز : أنت أيضا ! تتكلمين مثلهم !

برتا : ما الذى أساءك الى هذا الحد من أقوالهم ؟ كانوا مبتهجين لسعادتنا .

هانز : كررى جملتك .. بسرعة ! بسرعة ! دون أن تغيرى منها حرفا واحدا ! ..

برتا : ما الذى أساءك الى هذا الحد من أقوالهم ؟ كانوا مبتهجين لسعادتنا .

هانز : أخيرا ! شكرا !

برتا : انك تخيفنى يا هانز « منذ بضعة أيام وأنت تخيفنى ..

هانز : أنت التى تعرفين كل شىء عن آل وتشتين ، اعلمى أيضا هذا : اليوم الذى لابد أن تزورهم فيه المصائب » يتكلم الخدم بدون مقدمات لغة مبجلة . تصبح جملهم موزونة وكلماتهم نبيلة . كل ما يحتفظ به الشعراء لأنفسهم فى هذا العالم ينتقل فجأة الى الغسالات والى السواس . يرى بسطاء القوم فجأة ما لم يكونوا ليروه أبدا منحنيات الأنهار ، مسدس الزوايا لأقراص العسل ، يفكرون فى الطبيعة ، يفكرون فى الروح .. وفى المساء يحل البلاء .

برتا : جملهم لم تكن أبياتا من الشعر . لم تكن لها قافيـة .

هـانز : عندما يسمع آل وينتشتين واحدا منهم يتكلم بالشعر أو ينشد قصيدة فهذا معناه أن الموت متربص له .

برتا : أوه يا هانز ، هذا لأنه فى المناسبات الكبيرة تسمو آذان آل وينتشتين بالأصوات . ولكن لابد وأن هذا يسرى على الأعياد كما يسرى على الحداد !

هـانز : حتى راعى الخنازير ، هكذا يقولون . سنرى هذا (الى أحد الخدم) هل تعرف يا أنت أين راعى الخنازير ؟

احد الخدم : فوق رابيه السمار ..

هـانز : اقفـل فمـك .. اذهب واحضر لى راعى الخنازير ..

الخـادم : تحت أشجار الطلح ..

هـانز : وأسرع !

برتا : أوه يا هانز ، انى أشكر الخادمات اللائى تركن لى فى هذا الصباح كل كلماتهن المتواضعة

ليقلن لك انني أحبك . انني بين ذراعيك .
هانز لماذا هـذا الوجه المتجهم ؟ مالذى ينقصك في هذا اليوم ؟

هـانز : أن أنتقم لنفسي ، أن أرغمها أمام المدينة مجتمعة على الاعتراف بحالتها وبجريمتها .

برتا : منذ ستة شهور اختفت أوندين . ألم تستطع أن تنساها ؟ على أية حال فاليوم هو يوم النسيان !

هـانز : لكم كذبت على !

برتا : لم تكذب عليك . أى شخص سواك كان ليخمن أنها ليست منا . هل اشتكت مرة ؟ هل قالت مرة واحدة لا لارادتك ؟ هل رأيتها أبدا غاضبة أو مريضة أو آمرة ! بم اذن يمكنك التعرف على النساء الحقيقيات !

هـانز : بخياناتهن .. لقد خانتني .

برتا : أنت وحدك لم تكن ترى . أنت وحدك لم تلحظ أنها لم تستعمل قط لفظ امرأة . هل سمعتها

قط تقول : لا يقولون هذا لامرأة . لا يفعلون هذا لامرأة ؟ كلا .. كل شيء فيها كان يقول : لا يقولون هذا لجنية ، لا يفعلون هذا لجنية .

هانز : أن أنسى أوندين ، هل ستسمح لي بهذا ! هذا الصوت الذي استيقظت عليه في صباح يوم هروبها : لقد خنتك مع برترام ! .. ألم يعلو كل صباح من النهر ومن الينابيع والآبار . ألم يدوى به القصر والمدينة بما فيها من نافورات وقنوات في كل ساعة ألم تصرخ به الجنية الخشبية التي في ساعة الحائط مع كل ظهر ؟ لماذا تتحمس لتعلن على الملأ انها خانتنى مع برترام ! ..

الصدى : مع برترام !

برتا : فلتكن أمناء يا هانز . كنا قد خناها بالفعل . ربما كانت قد فاجأتنا ونحن نخونها وانتقمت لنفسها .

هانز : أين هي ؟ ماذا تفعل ؟ جميع الصيادين يطاردونها بلا جدوى منذ ستة شهور . ومع هذا فهي ليست بعيدة فقد وجدوا عند الفجر على باب المعبد

هذه الصحبة من نجوم البحر والرتسه .. هي وحدها التى يمكنها أن تتركها بقصد السخرية منـا ..

برتا : يكفى أن يكتشف أمرهن مرة لتختفين أو تعدن لتغطسن .. أعتقد أن التعبير يلائم جنيات البحر أيضا .. لقد غطست .

هـانز : لقد خنتك مع برترام ! .. من الذى تكلم ؟

الصدى : مع برترام !

برتا : أوه يا هانز ، اننا ندفع ثمن غلطتك . ما الذى أمكنه أن يغريك فى هذه الفتاة ! من الذى أمكنه أن يقنعك أنك ولدت للمغامرات ! أنت ، صياد جنيات ! انتى أعرفك . اذا كنت تريد أن تكون صريحا مع نفسك ، أعترف أن الذى جعل قلبك يدق بشدة فى الغابات المسكونة بالجان هو عثورك على كوخ مهجور لبعض الحطابين ودخولك فيه بعد أن أحنيت رأسك ثم عندما وجدت فيه رائحة الأثاث العطنه وبعض قطع الفحم التى لم تخمد بعد حيث يمكنك أن

تشوى طيرا مما اصطدته وأن تشعل غليونك ..
وانا اتخيلك وانت داخل هذه القصور التى يقال انها للسحرة ..

انى متأكدة من انك كنت تطيل فى فتح الدواليب ثم تنزل الملابس من على المشاجب وتتزين بأغطية الرأس القديمة .. كنت تعتقد انك تبحث عن الأرواح ولكنك لم تتبع أبدا الا الدرب الآدمى ..

هانز : لقد أسأت تتبعه .

برتا : لقد اضعته ولكنك عدت فوجدته . فى هذه الليلة من ليالى الشتاء عندما قلت لى انك ما زلت تحبنى وعندما هربت ، وجدته خلف القرية عندما رأيت خطواتى على الجليد . كانت واسعة وعميقة ، كانت دلالة على كل تعبى ويأسى وحبى . لم تكن هذه آثار أوندين التى تكاد لا ترى والتى لا يراها حتى كلابك . والتى تظل على الأرض الصلبة كما لو كانت خطوطا تركها القارب خلفه فى الماء . كانت خطوات امرأة تحمل فى جوفها الحياة البشرية امرأة تحمل ابنك المقبل كانت خطوات زوجتك ! ولم تكن

هناك آثار لخطوات فى العودة فقد حملتنى بين ذراعيك .

هـــانز : نعم مثل برترام اذ لابد وانه اعادها محمولة بين ذراعيه .. ماذا تريد أنت أيضا ؟

احد الخدم : هذا هو راعى الخنازير الذى طلبته يا سيدى .

هـــانز : حسن ، اقترب ، كيف حال خنازيرك ؟

راعى الخنازير: مزمارى من الصفصاف ومطواتى من البقس !

هـــانز : أحدثك عن خنازيرك ، عن حلاليفك !

راعى الخنازير: تحت شجرة الطلح .

هـــانز : اخرس !

الخـــادم : خذ حذرك منه ! انه أصم !

راعى الخنازير: حيث تكون الظلال ..

هـــانز : ضع يدك على فمه !

الخـــادم : يتكلم داخـل يدى . يتحـدث عن مسـدس الزوايا ..

هانز لخـــادم آخـــر : اسكت هذا أيضا ..

الخادم الثانى: (واضعا يده على فم الخادم الأول) : لا أعرف ماذا أصابهم ! فالجميع يتكلمون بالشعر !

هـــانز : اذهبـوا واحضروا لى خـادمة المطبخ . ألا تسمعوننى ! سنرى ماذا تقول خادمة المطبخ !

المنظر الثانى

برتا ــ هانز ــ الصيادون

الصياد الأول: سيدى ! سيدى !

هـــانز: كرره أربعة مرات فيصبح بيتا من الشعر !

الصياد الثانى: لقد حصلنا عليها ! لقد امسكنا بها !

هـــانز: أوندين وقعت فى الشبك !

الصياد الأول: فى نهر الرين بينما كانت تغنى !

الصياد الثانى: أنها مثل الديوك البرية يمكن الاقتراب منهـا عندما تغنى !

هـــانز: هل انتم متأكدون انها هى ؟

الصياد الأول: متأكدون وواثقون . كانت ملقية شـعرها على وجهها ولكن كان صوتها رائعـا ، وبشرتهـا كالقطيفـة . انهـا تبهر من يراها : انهـا هى الوحش !

الصياد الثانى: والقضاه يصعدون معها .

برتا: أى قضاه ؟

الصياد الأول: قضاه الأسقفية والامبراطورية الذين يحكمون في حالات الخوارق . كانوا في جولة .

برتا : ولماذا يعقدون جلساتهم في القصر ؟ المحكمة ليست خالية ؟

الصياد الاول: يقولون يا كونتسة ، ان الجنيات يجب أن تحاكمن فوق ربوه !

الصياد الثاني: وعلى بعد من النهر ، وبعد كل هذا عليهم ان يحذروا حتى لا يصلوا اليه زحفا على بطونهم . كما أن الفارس هو المدعى في القضية .

هانز : نعم أنا أطالب بتوقيع العقوبة في القضية ، منذ ستة شهور وأنا أنتظر ذلك .. اتركينا يا برتا .

برتا : هانز ، لا تقابل أوندين !

هانز : لن اقابل أوندين . ألا تسمعين ما يقولون .. سأقابل احدى الجنيات كائن محروم من الحياة البشرية ، من الصوت البشرى والذى لن يتعرف على .

برتا : هانز عندما كنت فتاة صغيرة كنت مغرمة

بنمس . كان هذا فى الخيال لم يكن له وجود . ولكننا كنا تنام معا . وكان عندنا أطفال . والى الآن عندما أمر بحديقة حيوان القصر أتوقف وأنا أرتعد أمـام قفص النمس . هو كذلك لا يذكرنى هو كذلك قد نسى اننى كنت أضع على رأسـه الغطاء القرمزى وأنه أنقذنى من الأقزام العمالقة وان ابنتينا التوأمين چنفيتى وبرتلانج قد تزوجتا من ملك آسيا .

سأشـعر بخطيئتى اذا ذهبت لرؤيته فى يوم زفافى ..

احد الطغم : القضاه يا سيدى .

هـانز : لحظة يا برتا ، وبعدها نكون فى سلام .

ســتار

المنظر الثالث

هانز . القضاه . فواح من الناس

القاضى الاول : هذا رائع ! .. ارتفاع متوسط . نحن بالتحديد فوق مملكة الماء وتحت مملكة الهوء .

القاضى الثانى : لقد رسى قارب نوح عند هبوط الطوفان على احدى هذه الربوات أيها النـاس الطيبون . وكان على نوح ان يحاكم الوحوش البحرية التى هاجمت أزواجها الجهنمية قاربه من فتحة الهواء .. تهانينا أيها الفارس .

هـــانز : لقد جئتم فى الوقت المناسب .

القاضى الاول : انه لأسهل بكثير أن تحكم فى خلاف بين سيدين بشأن الحدود الفاصلة بين مزارع الكروم الخاصة بهما من أن تحكم فى الحـد

الفاصل بين البشر والأرواح ، ولكن الاستجواب هنا يبدو بسيطا .. انها أول مرة نحاكم فيها جنية لا تنكر على الاطلاق كونها جنية .

القاضى الثانى : اذ لا توجد حيلة ، أيها الفارس ، الا واستخدمتها هذه الكائنات لتهرب من التحقيق الذى نقوم به معها . ثم انهم كثيرا ما يكشفون عن نقص فى معارفنا .

القاضى الأول : فى الواقع لقد أثبتوا ذلك يا زميلى العزيز ، منذ يومين عندما حكمنا فى قضية كروزناخ Kreuznach على المدعوة دورتيه Dorothee خادمة مدير البوليس . لقد كنت معتقدا أنها ستدرء هذا النوع من السحالى الذى لا يحترق وقد وضعناها فى النار لنرى فاذا بها تحترق .. لقد كانت احدى جنيات البحر .

القاضى الثانى : البارحة كذلك أيها الرئيس العزيز مع جرترود Gertrud ذات الشعر الأحمر والتى يختلف لون كل عين من عيونها عن الأخرى لقد كانت تقدم البيرة فى توبنجن Tübingen وكانت الأكواب تمتلىء

من تفـها دون أن تمسها يد انها معجزة لا مثيل لهـا .

قذفنا بها تحت الماء بعد ربطها بخيط من الصلب ولكنها غرقت اذ كانت فى هذه المرة سندر .

هـانز : هل صعدت أوندين معكم .

القاضى الاول : قبل أن نستدعيها يجدر بنـا أن نعرف أيهـا الفارس بما أنك المدعى فى هذه القضية ، آية عقوبة تطالب بتوقيعها على المتهمة ؟

هـانز : الذى أطالب به ؟ أطالب بمـا يطالب به هؤلاء الخدم بما تطالب به هذه الفتيات أطالب بحق الناس فى أن يتركوا وشأنهم على هذه الأرض . فالجزء الذى وهبه الله لهم ليس بكبير ، هذا السطح البالغ ارتفاعه مترين بين السـماء والجحيم ! كما أن حياة الانسان ليست جذابة الى هذا الحد بهذه الأيدى التى يجب غسلها والزكام الذى يجب أن تتخلص من افرازاته وخصلات الشعر التى تتخلى عنا .. الذى أطالب به هو أن نعيش دون أن نشعر من حولنا بتكاثر هذه الأرواح الغير آدمية التى تتحرش بنا وهذه

.. فى صباح يوم
زفافى أطالب بأن أكون وحيدا مع خطيبتى فى
عالم خـــال من زياراتهم ومن أمزجتهــم
وازدواجهم ، وحيدا مع خطيبتى هــذا هو كل
ما أريد .

القاضى الاول : هذا اذن هو مطلبكم الأعظم .

القاضى الثانى : انهم يضايقوننا بدون أدنى شك . فهم يجدون
متعتهم فى مشاهدتنا ونحن نغسل أرجلنا ونحن
نقبل زوجاتنا أو خادماتنا ونحن نضرب أطفالنا
على مؤخراتهم .. ولكن الواقع لا يمكن انكاره :
فحول كل حركة بشرية من أدنئهــا الى أنبلها
تجدهم يتجمعون ويلتفون من حــــولك
وكأنهم حول مائدة طعام أو مشهد معجزه .

.. ها هى المتهمة ! يحتفظ بها
أحد الحراس واقفة . لأنها اذا نامت على بطنها
ستفعل ما فعلته المرأة ســـــكة الثعبان التى
أمسكنا بها يوم الأحد ستكون فى الرين قبل
أن نلحق بها ..

المنظر الرابع

أوندين . هانز . القضاه . جمع من الناس

القاضى الثانى : أصابع يدها ليست متشابكة . انها تلبس خاتما .

هــانز : اخلعوه .

أوندين : مستحيل ! مستحيل !

هــانز : انها دبلة زواج . وأنا أحتاج اليها الساعة .

القاضى الأول : أيها الفارس ..

هــانز : العقد كذلك . هذه الميدالية التى تحتوى على صورتى !

أوندين : اتركوا لى العقد !

القاضى الأول : أيها الفارس . هل أستطيع أن أطالبك بآداب المرافعات أن سخطك وان كنت على حق فيه الا أنه يجازف بادخال الغموض فى القضية .. دعوى التعرف أولا ؟ ..

هــانز : انها هى !

القاضى الأول : نعم ، نعم ! ولكن أين الصياد الذى أمسك بها ؟ فليقترب الصياد الذى أمسك بها !

اولريخ : هذه أول مرة اصطاد فيها جنية بحر يا سيدى القاضى . آه انى فى غاية السعادة !

القاضى الأول : انا نهنئك . ماذا كانت تفعل ؟

اولريخ : كنت أشعر انى سأصطاد جنية ! منذ ثلاثين عاما وأنا عندى هذا الشعور . ولكنى كنت متأكدا هذا الصباح .

القاضى الأول : أيها البغل انى أسألك عما كانت تفعله !

اولريخ : وقد أمسكت بها حية ! التى أمسكوا بها فى ريجنزبرج Regens bourg قتلوها ضربا بالمجاديف . أما أنا فقد اكتفيت بخبط رأسها على حافة المركب لأفقدها وعيها فقط .

هانز : هذا صحيح أيها الحيوان ، فالدم يسيل من رأسها .

القاضى الأول : أجب عن الأسئلة ! هل كانت تعوم عندما أمسكت بها ؟

اولريخ : كانت تعوم ، كانت تظهر رقبتها ومؤخرتها . تستطيع أن تمكث عشر دقائق تحت الماء . لقد عددتها .

القاضى الأول : هل كانت تغنى ؟

اولريخ : لا . كان يصدر عنها صوت كالنباح . كان صوتا مبحوحا بعض الشيء كانت تنبح كالكلاب الصغيرة . وكان نباحها يقول ، انى أذكره جيدا : لقد خنتك مع برترام .

القاضي الأول : انك تهذي . هل تفهم فى النباح ؟

اولريخ : عادة لا أفهمه أبدا . فالنباح ما هو الا نباح . أما هذه المرة فانني فهمت .

القاضي الأول : هل كانت تفوح منها رائحة الكبريت عندما أخرجتها ؟

اولريخ : لا كانت تفوح منها رائحة نبات الأشنة وزهور الزعرور .

القاضي الثاني : ليس لهاتين الرائحتين أية علاقة ببعضهما ! هل كان يفوح منها رائحة نبات الأشنة أم زهور الزعرور .

اولريخ : الأشنة وزهور الزعرور .

القاضي الأول : تجاوز عن هذا يا زميلي العزيز .

اولريخ : كانت تفوح منها رائحة تقول : لقد خنتك مع برترام .

القاضي الثاني : أتحدثك الروائح يا هذا ؟

اولريخ : هذا صحيح ، انك على حق . الرائحة ما هى الا رائحة ولكن هذه كانت تتكلم .

القاضى الأول : هل قاومت ؟

اولريخ : بالعكس ! تركتنا نمسك بها . كانت ترتعد فقط . رعدة معناها : لقد خنتك مع برترام !

هانز : هل انتهيت من الصراخ أيها الأبله !

القاضى الأول : سامحه أيها الفارس . فليس بالأمر الغريب أن يهذى .النفوس البسيطة لا تتحمل مثل هذه المواقف . ولكن شهادة الصياد المحترف ضرورية لتثبت شخصية الوحش المائى .. يبدو أنه لا مجال للشك .

أولريخ : أقسم أمام الله انها واحدة منهن . ورأسها ورقبتها تشبهان تماما تلك التى أمسكوا بها فى نورمبرج Nuremberg واحتفظوا بها فى حمام سباحة ووضعوا لها فيه عجل البحر .. كانا يلعبان بالكرة .. وقد أنجبا أطفالا .. انى أتساءل ما اذا لم تكن هى هذه .. الجائزة مضاعفة لمن يمسك بهن أحياء ، أليس كذلك ؟

القاضى الأول : مر علينا الليلة لتسلمها . شكرا .

اولريخ : وشبكتى ؟ هل أستطيع أن أسترد شبكتى ؟

القاضى الاول : ستأخذها فى التاريخ المحدد لذلك . يومين بعد المرافعات .

اولريخ : لا لا يمكن ! أريدها فى الحال . انها من أدوات المهنة . على أن أصطاد الليلة ! ..

القاضى الثانى : حسن ! اذهب عنا ! لقد صودرت . انها لا تساوى شيئا .

القاضى الاول : أتم الفحص الشرعى يا زميلى العزيز .

هانز : قف ! الى أين أنت ذاهب ؟

القاضى الثانى : أنا كذلك طبيب أيها الفارس . سأكشف على جسد هذه الفتاة .

هانز : لن يكشف أحد على أوندين .

القاضى الاول : ان زميلى خبير لا مثيل له فهو الذى أثبت أن جوزيفا Grosepha لم تمس لالغاء زواجها وقد امتدحت كياسته .

هانز : انا أؤكد أن هذه الكائنة هى أوندين ، وهذا يكفى .

القاضى الثانى : سيدى . انى مقدر كم هو مؤلم أن ترانا نفحص من كانت شريكة حياتك ولكننى أستطيع دون

أن ألمسها أن أدرس عن طريق العدسة أجزاء جسدها التي يتركز فيها الاختلاف مع جسد الانسان .

هـانز : انظر اليها بالعين المجردة ومن مكانك .

القاضي الثاني : ان رؤية شبكة الأوردة ثلاثية الفصوص التي ترسم حية الاغراء تحت ابط جنية البحر بالعين المجردة تبدو لي أمرا غير عملي . ألا تستطيع على الأقل أن تمشي أمامنا ، أن ترفع هذه الشبكة وتبعد ساقيها عن بعضهما !

هـانز :لا تتحركي يا أوندين !

القاضي الثاني : ستفقد الرضاء بالحاحنا ، والمعاينة تبدو كافية . أيها الناس ، هل منكم من يرفض الاعتراف بأن هذه السيدة جنية .

جريت : كانت طيبة جدا !

القاضي الثاني : كانت جنية طيبة . هذا كل ما في الأمر ..

راعي الخنازير: كانت تحبنا وكنا نحبها !

القاضي الثاني : هناك أنواع متوادة حتى من السحالي ..

القاضي الاول : فلنبدأ اذن المرافعة . وهكذا أيها الفارس فأنت تلح في المطالبة بصفتك زوج وسيد باتهام هذه

الفتاة بأنها قد تسببت لكونها جنية فى آلاف المضايقات فى المحيط الذى نعيش فيه ؟

هـــانز : أنا ، أبدا !

القاضى الاول : ألا تتهمها بأنها أدخلت فى بيتـك الأعاجيب والخوارق والأعمال الشيطانية ؟

هـــانز : أوندين شيطانة ؟ من يقول هذه السخافات ؟

القاضى الاول: إننا نسأل أيها الفارس ! ما هو الغير طبيعى فى هذا السؤال ؟

ملك الجان : (فى هيئة رجل من الشعب) أوندين شيطانة !

القاضى الاول: من تكون أنت ؟

اوندين : أسكته ! انه يكذب !

القاضى الثانى: حرية الكلام مكفولة فى مثل هذه القضايا .

ملك الجان : أوندين شيطانة ! هذه الجنية على العكس من ذلك تتنـــــكر للجنيات لقد خانتهم كان فى استطاعتها أن تحتفظ بقوتهم وعلمهم كان فى امكانها أن تفعل عشرين مرة فى اليوم ما تسمونه أنتم بالمعجزات فتنبت خرطوما فى رأس حصان زوجها وأن تجعل كلابه مجنحين وتجعل الرين والسماء تجيبان على ندائها وتأتيان بالمعجزات .

لا ، انها قبلت التواء المفاصل والزكام
والطبخ بالدهن ! أليس كذلك أيها الفارس ؟

القاضي : تتهمها اذن ـ حسب ما فهمت من قولك ـ بأنها أندست بيننا بخبث لتسرق الأسرار الآدمية ؟

هـانز :أنا ؟ بالطبع لا ! ..

ملك الجان : اذا كان لإمرء ان يسخر من الأسرار الآدمية فهى خير من تفعل هذا . لا شك فى أن الرجال لهم كنوزهم من الذهب والمجوهرات ولكن الذى كانت تفضله أوندين لم يكن الا أحط الأشياء فكانت تفضل مقعده وملعقته ....

هذا : انها أكثر النساء دمبة وذلك لأنها أرادت أن تكون امرأة برغبتها هى

القاضى : يدعى بعض الشهود انها كانت تقفل الأبواب عليها بالمزلاج ساعات طويلة ؟ .

ملك الجان : هـــذا صحيح ، ومـــاذا كانت تفعل يا جريت عندما كانت تسجن نفسها .

جريت : كانت تصنع الفطائر يا سيدى الشاهد .

القاضى الثانى : فطائر ؟

جريت : لقد استمرت تعمل شهرين لتنجح فى صـــنع العجينة .

القاضى الثانى : هذه واحـــدة من ألطف الأسرار الانسانية .. ولكن يقولون انها كانت تربى الحيوانات فى فناء لا يدخله أحد ..

راعى الخنازير : نعم بعض الأرانب وكنت أحضر لها البرسيم .

جريت : والدجاج ، كانت تنزع بنفسها ما يتراكم على ألسنتها ويمنعها من الأكل .

القاضى الثانى : وكلابها ألم تكن تتكلم يا فتاتى الصغيرة . هل أنت متأكدة وقططها كذلك ؟

جريت : لا . أنا كنت أكلمهم . أحب التحـدث الى الكلاب .. ولكنهم لم يجيبونى قط .

القاضى الأول : أيها الشهود . شكرا . سنعمل حساب هـذا الموقف فى حكمنا . فلتعترف الشـــياطين والعفاريت وغيرهم من الزوار المتطفلين بعظمة وعبقرية الحياة الانسانية . وليعترفوا بمهارتنا فى صناعة فطائرنا وتبييض نحاسنا وطريقتـنا فى علاج الأجزيما والجروح اذ لا يمكننا أن نجعل كل هذا فى مقدورهم .

القاضى الثانى : فيما يخصنى انا شخصيا أعبد عجينة الحلوى . لا بد وانها استعملت الزبدة قبل أن تنجح فى صنعها ؟

جريت : قوالبا منها !

القاضى الأول : سكون .. ها نحن فى صـميم القضية : ايهـا الفارس لقد فهمت أخيرا ما تريده . أيتهـا المرأة هذا السـيد يتهمك بأنك ادخلت فى بيته بدلا من المرأة المحبة التى كان يتوق اليها والتى انتحلت صورتها لبعض الوقت ، كائنا وهب

نفسه لصغائر الأمور . كأننا لا يهمه الا ملذات الحياة الحقيرة ، كأننا أنانيا وخال من الاحساس

هـانز : أوندين لم تحبنى ؟ من يجرؤ على ادعاء هذا ؟

القاضى : يبدو أنه من الصعب متابعتك ايها الفارس ...

هـانز : أوندين أحبتنى كما لم يحب رجل قط فى حياته ...

القاضى الثانى : هل أنت متأكد مما تقول الى هذا الحد ؟ انظر اليها : انها ترتعد خوفا لمجرد سماعها ما تقول .

هـانز : خوفا ؟ اذهب وافحص هذا الخوف بعدستك أيها القاضى ! انها لا ترتعد خوفا ، انها ترتعد حبا ! .. نعم بما انه الآن دورى فى الاتهام سأتهم . خذ قلمك يا كاتب الجلسة ! وضع غطاء رأسك أيها القاضى ! انكم تحكمون أحسن ورؤوسكم دافئة . اننى أتهم هذه المرأة بأنها ترتعد حبا لى ، بأنها لا تفكر الا فى . أنا اله هذه المرأة ، هل تسمعوننى !

القاضى : أيها الفارس ..

هـــانز : ما زلتم تشكون ! أوندين ما هــو تفكيرك الوحيد ؟

اوندين : أنت .

هـــانز : ما هو خبزك ؟ ما هو خمرك ؟ عنـــدما كنت ترأسين مائدتي وترفعين كأســـك ماذا كنت تشربين ؟

اوندين : أنت .

هـــانز : من هو الهك ؟

اوندين : أنت .

هـــانز : هل تسمعونها أيها القضاه ! انها تدفع بالحب الى الالحاد .

القاضي : لا تبالغوا أرجوكم . لا تعقدوا القضية ، تريد فقط أن تقول انها تحترمك .

هـــانز : لا ليس هذا ما تريده على الاطلاق . أنا أعرف ما أقول وعندي براهين . كنت تركعين أمـــام صـــورتي ، أليس كذلك يا أوندين ؟ كنت تقبلين طرف ثوبي ! كنت تقيـين صـلواتك باسمي !

اوندين : نعم .

هانز : القديسون كانوا أنا . الأعياد كانت أنا . في عيد السعف من كنت ترين داخلا الى بيت المقدس على حماره ؟

اوندين : أنت .

هانز : وبماذا كانت تلوح السيدات من فوق رأسي وهي تهتف باسمي ؟ ألم تكن أغصان النخيل ، ماذا كانت ؟

الفارس : أنت .

القاضي : ولكن الى أين تريد أن تصل بنا أيها الفارس ! اننا هنا لنصدر حكمنا على جنية لا على الحب .

هانز : ذلك لأن القضية تكمن هنا . فليدخل الحب هذا القفص بمؤخرته المزينة بالشرائط وحقيبة سهامه ، انه هو المتهم . انني أتهم أصدق حب على كونه الحب الكاذب والحب الملتهب على كونه الحب الملعون بما أن هذه المرأة التي لم تكن تحيا الا بحبها لي قد خانتني مع برترام !

آلصدى : مع برترام !

القاضي الأول : اننا نضيع وسط المتناقضات أيها الفارس ! امرأة تحبك الى هذا الحد لا يمكنها أن تخونك .

هـــانز : أجيبى أنت ! هل خنتنى مع برترام ؟

اوندين : نعم .

هـــانز : اقسمى ! اقسمى على ذلك أمام القضاة

اوندين : أقسم أنى خنتك مع برترام .

القاضى : تأكيداتها هـــذه لا تثبت شيئا : انك تترك لها قدرا ضئيلا جدا من التصرف فى اجاباتها . يا زميلى العزيز أنت الذى نجحت فى اظهار خطأ جنفييف دوبرابان Genevieve de Brobant نفسهـــا عنـــدما كانت تؤكد أنها تفضل غزالها على زوجها وانها تفضل انتفاخات أنف غزالها على وجنات زوجها ، وجه الى هـــذه الجنية الثلاث أسئلة المفحمة .. السؤال الأول ..

القاضى الثانى : (مشيرا الى هانز) أوندين ، عندما كان يجرى هذا الرجل ماذا كنت تفعلين ؟

اوندين : كنت ألهج .

القاضى الاول : السؤال الثانى ! ..

القاضى الثانى : وعندما كان يجرح اصبعه .

اوندين : كان يسيل منى الدم .

القاضي الأول : السؤال الثالث ! ..

القاضي الثاني : وعندما يتكلم وعندما يرتفع شخيره في رقاده .. أرجو المعذرة أيها السيد .

أوندين : كنت أسمع غناء .

القاضي الثاني : لا توجد ثغرة في اجاباتها . انها تبدو صادقة ! .. وهذا الشخص الذي كان بالنسبة لك كل شيء ، خنته ؟

أوندين : نعم ، خنته مع برترام .

ملك الجان : لا تصيحي هكذا ، فقد سمعت ..

القاضي الثاني : انك لا تحبين سواه ولا وجود لغيره ومع هذا فقد خنته ؟

أوندين : مع برترام .

هـانز : ها قد عرفتم كل شيء !

القاضي الثاني : هل تعرفين ما هي عقوبة الزوجة الخائنة ؟ هل تعرفين ان الاعتراف بهذه الخطيئة تضاعفه العقاب بدلا من تخفيفه ؟

أوندين : نعم ، ولكنني خنته مع برترام .

ملك الجان : انك توجهين كلامك لي أليس كذلك يا أوندين ؟ انك تتحرشين بي . حسن كما تريدين ! ولكن

استجوابى سيضيق عليـــك الخناق أكثر من القضاة . أوندين أين برترام الآن ؟

أوندين : فى اقليم بورجونى على أن ألحق به هناك .

ملك الجان : أين خنت زوجك معه ؟

أوندين : فى الغابة .

ملك الجان : فى الصباح ؟ فى المساء ؟

أوندين : ظهرا .

ملك الجان : هل كان الجو باردا ؟ هل كان الجو حارا ؟

أوندين : كان الجليد يتساقط . وقال برترام : ان الثلج سيحفظ حبنا ! .. لا يمكن أن تنسى هـذه الكلمات .

ملك الجان : حســن .. احضروا برترام ... من مواجهتكم ببعضكم ستولد الحقيقة .

القاضى : برترام اختفى منذ ستة أشهر . العدالة الانسانية لم تستطع العثور عليه .

ملك الجان : هذا لأنها ليست حقا قوية .. ها هو ! (برترام يظهر فجأة) .

أوندين : برترام ، يا حبيبى !

القاضى : هل أنت الكونت برترام .

برترام : نعم .

القاضى : هذه السيدة تؤكد انها خانت زوجها الفارس معــك .

برترام : اذا كانت تقول هذا . فلابد وأنه صحيح .

القاضى : أين حدث ذلك ؟

برترام : فى غرفتها الخاصة . هنا فى هذا القصر .

القاضى : صباحا ؟ مساء ؟

برترام : فى منتصف الليل .

القاضى : الجو آكان باردا أم حارا ؟

برترام : كانت الأخشاب تتأجج فى المــدفأة . وقالت أوندين : تشعر بالسخونة عندما تقترب من الجحيم .. لا يمكن اختراع هذه الكلمات .

ملك الجان : عظيم . كل شىء واضح الآن .

أوندين : ما الذى تجده عظيما ! لماذا تشك فى أقوالنا ؟ اذا كانت اجاباتنا لا تتفق فذلك لأننــا أحببنا بعضنا دون تحفظ ومن غير موانع هذا لأن العاطفة تركتنا بلا ذاكرة .. الأبريــــاء فقط هم الذين يستطيعون فقط التوفيق بين اجاباتهم !

ملك الجان : أيها الكونت برترام . خذ هـــذه السيدة بين ذراعيك وقبلها .

برترام : انني لا أتقبل الأوامر الا منها .

القاضي الاول : وقلبك ألا يعطيك الأمر ؟

ملك الجان : اطلبي منه يا أوندين أن يقبلك . وكيف تريدين منا تصديقك اذا كنت لا تسمحي له بتقبيلك !

اوندين : كما تريد . قبلني يا برترام .

برترام : أنت تريدين ذلك ؟

اوندين : أطالبك به . قبلني ! .. لحظة . لحظة صغيرة ! .. اذا انتفضت أو قاومت عنـــدما تقترب مني سيكون هذا رغما عني لا تهتم بالأمر .

ملك الجان : اننا ننتظر .

اوندين : ألا يمكنكم اعطائي معطفا ، رداءا ؟

ملك الجان : لا احتفظي بأذرعك عارية .

اوندين : حسن .. أحسن .. انني أعبد أن يقبلني برترام
١ وهو يداعب كتفي العاريتين . هل تذكر هـــذه الليلة الجميـــلة يا برترام ! .. انتظر ! .. اذا صرخت عندما تأخذني بين ذراعيك يا برترام فهذا لأن أعصابي متوترة من تأثير هذا اليوم ..

لا تغضب منى .. قد يحدث على كل حال أن أصرخ ..

ملك الجان : هل استقر رأيك ؟

اوندين : أو اذا أغمى على . اذا أغمى على يمكنك أن تقبلنى كيفما تشاء يا برترام كيفما تشاء .

ملك الجان : حان الوقت .

برترام : أوندين !

يقبلها .

اوندين : (وهى تقاوم) هانز ! هانز !

ملك الجان : وها هو البرهان أيها القضاة . بالنسبة للفارس وبالنسبة لى انتهت القضية .

اوندين : أى برهان ؟ (يقوم القضاة) ماذا بك ؟ ماذا تعتقد ؟ ألأنى قلت هانز عندما قبلنى برترام . هل هذا برهان على انى لم أخنه ؟ اذا كنت أصيح باسمه فى كل مناسبة فهذا لأنى لا أحبه ! هذا لأن اسمه يتبخر منى ! عندماأقول هانز ، هذا أقل ما أعنيه منه . وكيف لا أحب برترام ؟ انظروا اليه له قامة هانز ! وجبين هانز !

القاضى الثانى : المحكمة تتكلم .

القاضى الأول : أيها الفارس . يبدو ان دورنا قد انتهى فى هذه

القضية هل تسمح بأن نعلن حكمنا . هـذه الفتاة أوندين أذنبت فى أنها تعمدت تضليلنا بأن تركت طبيعتها . ولكن واضح أنها لم تأت الينا الا بالطيبة والحب .

القاضى الثانى : ولكن هذا كثير : اذا أحب النـاس بعضـهم بعضا بهذا الشكل فى هذه الحياة ، ليس هذا للتخفيف ..

القاضى الاول : أما لماذا أرادت أن تعتقد فى علاقتها مع برترام فهذا ما لا نفهمه ولن نحاول أن نبحث عن سببه لأنه يمس علاقتكم الزوجية وتحفظكم . سنعفيها من التعذيب والعقوبة العلنية . سنقطع رقبتها الليلة من غير شهود . والى أن يحين موعـد تنفيذ الحكم اخترنا لحراستها الجلاد وهـذا الرجل لنعبر له عن شكرنا لمساعدته لنا فى ميدان العدالة .

(يشير الى ملك الجان)

القاضى الثانى : وبما أن موكب العرس ينتظر أمام الكنيسـة ، اسمحوا لنا أن تتبعكم لنقدم لكن تمنياتنا .

(تظهر خادمة المطبخ ، وتبدو للبعض وكأنها الجمال كله وللبعض الآخر خادمه قذرة ..)

هـــانز : من تكون هذه ؟

القاضى : ماذا ، أيها الفارس ؟

هـــانز : من تكون هـــذه التى تتقدم رأسا نحوى كما لو كانت عمياء أو كقارئة الغيب ؟

القاضى : اننا لا نعرفها .

احد الخدم : انها خادمة المطبخ التى تغسل الصـــحون يا سيدى ، لقد أرسلت فى طلبها .

هـــانز : ما أجملها !

القاضى الاول : جميلة ، هذه القزمة ؟

جريت : ما أجملها !

احد الخدم : جميلة ! انها فى الستين من عمرها !

القاضى : تقدمنا أيها الفارس .

هـــانز : لا ، لا يستحسن أن نستمع أولا الى من تغسل الصحون . سنعرف منها نهاية هذه القصة .. اننا نستمع اليك أيتها الخادمة .

القاضى الثانى : انه مجنون ..

القاضى : انى أشفق عليه . ولكننا نفقد صوابنا لما هو أقل من هذا ..

الخادمة : أنا الخادمة التى تغسل الصحون . جسدى قبيح وروحى جميلة .

هـانز : هذا كلام مقفى ، أليس كذلك ؟

القاضى : لا على الاطلاق .

الخادمة : يعهدون الى بأحط الخدمات .
وأجد المجد فى رفى الشرابات .

هـانز : لن تقولوا ان هذه ليست مقفاة .

القاضى : هذه أبيات من الشعر ؟ هل تشعر بطنين فى أذنيك ؟ أين هى هذه الأبيات ؟

راعى الخنازير: بلى ! انها بالفعل أبيات من الشعر .

أحد الخدم : بالنسبة لخنازيرك نعم ! أما بالنسبة لنا فهى نثر .

الخادمة : أعيش على الخبز والزبد الزنخ
ولكن ألمى من أرفع المراتب
وفى دموعى من الأملاح
قدر ما فى دموع الأباطرة
ومكر خادم الحظيرة يضنينى قدر ما تضنينى الملكة
وعندما يقول لها الملك فى المساء
لن أكون هنا قبل الغداء
أيها المسيح هل ستفرق بيننا
عندما نكون أمام قلعتك فى انتظار دخولنا

بما انك سترى على جباهنا
نقش الأشواك وكل أخطائنا
وستخلط يوم عيدك بيننا
وتضع التاج على رأسي أنا
وستقول : السماء فتحت لكم
يا ملكاتي فكم قاسيتم .

هـــانز : أليس هذا ما تسميه قصيدة ؟ انها قصيدة ؟

القاضي الاول : قصيدة ! لقـــد سمعت خادمة تشكو لأنهم اتهموها بسرقة الملاعق الفضية .

القاضي الثاني : وأن تشققات أقدامها تدمى منذ نوفمبر الماضي .

هـــانز : أليس هذا منجلا الذي تحمله بجانبها ؟

القاضي : لا ، انه مغزل .

جريت : منجل ، منجل من ذهب !

احد الخدم : مغزل .

راعي الخنازير : منجل . ومنجل قاطع ! فأنا أفهم في هذه الأمور .

هـــانز : شكرا . أيتها الخادمة . سأحضر في الميعاد ! .. تعالوا أيها السادة !

احد الخدم : بدأوا الصلاة ، يا سيدي ..

(الجميع يخرجون ما عدا اوندين وخالها والجلاد)

المنظر الخامس

أوندين ـ ملك الجان الذى أحال باشارة من يديه الجلاد الى تمثال من الجليد الأحمر .

ملك الجان : النهاية تقترب يا أوندين ..

أوندين : لا تقتــله ..

ملك الجان : اتفاقنا يستوجب ذلك . لقد خانك .

أوندين : نعم لقد خاننى . نعم أردت أن أجعلك تعتقد اننى كنت البادئة بالخيــانة . ولكن لا تحكم على عواطف البشر بمقاييــنا نحن الجان . فغالبا ما يخون الرجل زوجته وهو يحبها . غالبا من يخون زوجته يكون أكثر الرجال اخلاصا . كثير من النــاس يخونون من يحبــون حتى لا يصابوا بالغرور ، وحتى يرضـخوا وحتى يشعر بأنه شىء بسيط بالقرب من اللاتى هن كل شىء . أراد هانز أن يجعل منى زنبقة فى بيته وردة تمثل الاخلاص . التى دائما عـلى

حق ، التى لا تخطىء أبدا .. كان طيبا أكثر من اللازم .. وقد خاننى .

ملك الجان : ها أنت قد أصبحت شبه امرأة يا أوندين المسكينة !

اوندين : لم تكن لديه وسيلة أخرى .. أنا لا أرى وسيلة أخرى .

ملك الجان : كان الخيال ينقصك دائما .

اوندين : عادة فى ليالى الأعياد الخيرية ترى الأزواج يعودون الى منازلهم منحنى الظهور وفى أيديهم الهدايا . لقد خانوا لتوهم . وتشرق الزوجات .

ملك الجان : لقد أعطاك التعاسة ..

اوندين : بلا شك . ولكن فى هذه النقطة أيضا ما زلنا عند البشر . أن أكون تعسة هذا لا يثبت اننى لست سعيدة . أنت لا تفهم شيئا فى هذا : ذلك لأنه فى هذه الأرض المليئة بمناطق الجمال ، أن نختار المكان الوحيد الذى تقابل فيه الخيانة والالتباس والكذب وأن تنغمس فيه بكل قوانا ، هذه هى السعادة بالنسبة للرجال . اذا لم يفعلوا

ذلك أصبحوا شواذا ، فكلما تألم الانسان كلما ازدادت سعادته . انتى سعيدة . انتى أسعد من فى الوجود .

ملك الجان : سيموت يا أوندين .

اوندين : انقذه .

ملك الجان : ماذا يهمك ! لن تحتفظى بذاكرة البشر الا لبضعة دقائق فقط . اخوتك سينادونك ثلاث مرات وستنسين كل شىء .. انتى أوافق على أن يموت فى اللحظة التى تنسين فيها . سيكون هذا عملا انسانيا . على أية حال لم أعد حتى فى حاجة الى قتله . انه يعانى سكرات الموت .

اوندين : ما زال شابا وقويا !

ملك الجان : انه يعانى سكرات الموت . أنت التى قتلته .

.. مثل هذا يحدث عند الرجال .
ليس على أشجار البلوط ولا على الجرائم
والوحوش يبذل الحطابون والقضاة والفرسان
جهودهم وانما على عود رفيع من الحيزران
وعلى البراءة وعلى فتاة صغيرة تحب .. لم يبق
له سوى ساعة ..

أوندين : لقد تركت مكانى لبرتا . كل شيء مسهد له .

ملك الجان : هل تعتقدين ذلك ! كل شيء يدور فى رأسه
الآن . فى رأسه موسيقى الذين يموتون . كان
لكلام خادمة المطبخ عن أسعار البيض والجبن
وقع آخر فى أذنه . انه ليس بالقرب من برتا .
ينتظرونه بلا جدوى فى الكنيسة . انه بالقرب
من حصانه .. يحدثه حصانه ويقول له : وداعا
يا سيدى العزيز . سألحق بك فى السماء ! .
هذا لأن حصانه يحدثه اليوم بالشعر ..

أوندين : لا أصدقك . استمع الى هذا الغناء ! انها حفلة زفافه .

ملك الجان : انما هو يسخر من الزواج ! .. لقد انسلخ الزواج بأكمله منه كما تنزلق الدبلة من الاصبع النحيف . انه يهيم على وجهه داخل القصر . يحدث نفسه ويخطرف . هكذا يتصرف الرجال عندما يصطدمون بالحقيقة ، بالبساطة أو بكنز.. يصبحون ما يعبرون عنه بقولهم مجانين . يصبحون فجأة منطقيين لا يرضخون لا يتزوجون ممن لا يحبون ويكون منطقهم منطق النباتات والمياه والله : انهم مجانين .

أوندين : انه يلعنني !

ملك الجان : انه مجنون .. يحبك !

المنظر السادس

اوندين . هانز

يأتى هانز خلف أوندين كما جاءت هى خلفه فى كوخ الصياد

هـــانز : أنا يدعوننى هانز !

اوندين : اسم جميل .

هـــانز : أوندين وهانز ، هذا أجمل اسمين فى لوجود ، أليس كذلك ؟

اوندين : أو هانز وأوندين .

هـــانز : أوه لا ! أوندين أولا ! انها العنـــوان ، أوندين .. سيسمى هذا أوندين . هذه القصة التى أظهر فيها هنا وهناك كأبله كبير ، غبى كالرجال . انهم يقصدوننى أنا فى هذه الرواية ! أحببت أوندين لأنها ارادت ذلك وخنتها لأنه كان يجب أن أفعل ذلك .

اوندين : سامحنى يا هانز .

هـــانز : لماذا تقع جميعهن فى نفس الخطأ ، سواء أكانت أســماءهن ارتميز Artémese أو كليوبترة أو أوندين ! الرجال الذين خلقوا للحب هم الأساتذة ذوو الأنوف الكبيرة وأصحاب الدخل المكتنزون ذوو الشفاة الغليظة واليهـــود ذوو النظارات : هؤلاء عنـدهم من الوقت ما يكفى ليشعروا ويسعدوا ويتألموا .. لا ! .. يتكالبون على قائد مسكين مثـــل أنطونيو أو فارس مسكين مثل هانز ، عـــلى شخص متوسط بائس .. ومنذ هـــذه اللحظة ينتهى المسكين .

من السماء الى الجحيم أخـذوا يهزوننى فى عنف ، يحطموننى ويســـلخوننى ! دون أن يراعوا اننى غير موهوب لأرى جمال المغامرة .. ليس هذا من العدل .

اوندين : وداعا يا هانز .

هـانز : وهكذا ! فى يوم ما يذهبن . فى اليوم الذى يبدأ كل شىء فى الوضوح ، فى اليوم الذى تدرك فيه انك لم تحب سواها ، انك تموت اذا تركتك لحظة ، فى هذا اليوم يذهبن وفى اليوم الذى تعثر فيه عليهن من جديد ، فى اليوم الذى تعثر فيه على كل شىء لما لا نهاية ، هـذا اليوم !

قاربهن للرحيـل وتنفرد أجنحتهن وترفرف خياشيمهن ويقلن لك وداعا .

اوندين : سأفقد الذاكرة يا هانز .

هـانز : وتقصدين وداعا حقيقيا ! ان العشـاق الذين يتبادلون الوداع عادة على حافة الموت يعرفون انهم سيتقابلون ويصطدمون ببعضهم بلا توقف فى الحياة الأخرى . وانهم سيكونون دائما جنبا الى جنب ويتفاهمون بلا انقطـاع بما أنهم سيصبحون أشـباحا فى نفس المجال . انهم يفترقون على أن يتجدد الفراق . ولكن أوندين وأنا يذهب كل منا من شاطئه الى الأبدية ، من شماله العدم وعلى يمينه النسيان ..

أوندين : ان لم تمت ...... ستنسى أنت كذلك .

هـانز : ان لم أمت . .أنسى . . ما أسهل الكلام . لوكانت فقط الحياة تثير فى أى اهتمام ! منذ اللحظة التى ذهبت فيها ،كل ما كان يفعله جسدى من تلقاء نفسه أصبح على أن آمره بأدائه . لا أرى الا اذا طلبت من عيناى أن تريا . لا أرى العشب أخضر الا اذا قلت لعينى أن تراه أخضرا . اذا كنت تعتقدين أن العشب الأسود مفرخ ! يا له من عمل مضن . على أن آمر خمس حواس وثلاثين عضلة ، حتى عظامى تنتظر أوامرى . لحظة من عدم الانتباه وأنسى أن أسمع وأن أتنفس .. سيقولون عنى مات لأن التنفس كان عبئا عليه .. مات من الحب .. أوندين ما الذى جئـت لتقولينه لى ؟ لماذا تركتهم يصطادونك ؟

.. ..

سأكون أول فرد من آل وتشتين الذى لن تكون له

أرملة .لن تكون هنـاك غير جنية
وستكون قد نسيتنى ..
هذا أيضا ليس من العدل ..

اوندين : اطمئن .. لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة.كنت تلومنى أحيانا لأننى لا أغير من مشيتى فى المنزل ولأننى لا أنوع فى حـركاتى ولأنى أسير بخطوات محسوبة . ذلك لأننى كنت أعمل حساب هذا اليوم الذى سأنزل فيه من غير ذاكرة الى قاع البحـار . كنت أفرد قامتى وكنت أرغمها على اتخاذ خط لا يتغير . وفى قاع الرين حتى بلا ذاكرة سيمكننى أن أكرر الحركات التى كنت أقوم بها عندما كنت معك . والدفعة التى ستحملنى من الكهف الى الجذور ستكون نفس الدفعة التى كانت تحملنى من المائدة الى النافذة ، والحركة التى أدحرج بها قوقعة على الرمال ستكون نفس الحركة التى كنت ألف بها عجينة فطائري .. سأصعد

الى المخزن .. وسأخرج رأسى .. ستكون هناك دائما جنية برجوازية بين هذه الجنيات . أوه ماذا بك ؟

هـــانز : لا شيء ، لقد نسيت .

اوندين : نسيت ماذا ؟

هـــانز : أن أرى السماء زرقاء .. أكملى !

اوندين : سيدعوننى الانسانة . لأننى لن أغطس بعد الآن برأسى أولا . سأنزل دائما من الدرج فى الماء ولأننى سأتصفح الكتب فى المـاء ولأننى سأفتح النوافذ فى الماء . كل شيء قد أعـد . لم تجد النجف وساعة الحائط والأثاث الخاص بى . ذلك لأننى ألقيت بهم فى النهر . كل شيء له مكانه وله طابقه اننى لم أتعود بعد . أجدهم غير ثابتين ، يطفون .. ولكن الليلة سيبدون لى مثبتين وواثقين من أماكنهم كما تبـــدو لى الدوامات والتيارات المائية . لن أفهم الغرض منهم ولكننى سأعيش من حولهم . سيكون الأمر غريبا اذا لم أستعمل هذه الأشـياء واذا لم تأتنى الفكرة لأجلس على مقعد ولأشعل فى

الرين الشمعدانات ولأنظر فى المرآة .. ربما دقت الساعة فى بعض الأحيان الى الأبد سأستمع الى الساعة .. ستكون لى غرفتنا فى قاع الماء .

هانز : شكرا يا أوندين .

اوندين : وهكذا وقد فرق بيننا النسيان والموت والأعمار والأجناس الا أننا سنتفاهم جيدا وسنخلص لبعضنا .

الصوت الاول: أوندين ! ..

هانز : انهم يطلبونك !

اوندين : سينادونى ثلاث مرات . لن أنسى الا بعد المرة الثالثة .. آه يا صغيرى هانز ، دعنى أغتنم هذه اللحظات الأخيرة ، اسألنى ! أحيى هذه الذكريات ، التى ستصبح بعد لحظات ذرات من الرماد . ماذا بك ؟ انك شاحب ..

هانز : ينادونى كذلك يا أوندين ، شحوب كبير ، قشعريرة كبيرة تنادينى ! خذى هذه الدبلة من جديد وكونى أرملتى الحقيقية فى قاع البحار .

اوندين : بسرعة ! اسألنى !

هـــانز : ماذا قلت يا أوندين فى الليلة الأولى التى رأيتك فيها عندما فتحت الباب أثناء العاصفة ؟

اوندين : قلت : ما أجمله .

هـــانز : وعندما فاجأتنى وأنا آكل سمكتى المسلوقة ؟

اوندين : قلت : ما أغباه ..

هـــانز : عندما قلت : فكرى فى ذلك من بعيد .

اوندين : قلت : سنتذكر هـذه اللحظة فى المستقبل .. اللحظة التى لم تقبلنى فيها .

هـــانز : لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا الآن بلذة الانتظار هذه . قبلينى يا أوندين .

الصوت الثانى: أوندين ! ..

اوندين : اســـأل ! استمر فى السؤال ! أنا كل ما فى يضطرب .

هـــانز : أوندين يجب أن نختار ، تبادل القبـــلات أم تتكلم .

اوندين : سأسكت .

الفارس : ها هى خادمة المطبخ .. جسدها قبيح وروحها جميلة .

تدخل الخادمة يسقط هانز ميتا .

اوندين : النجدة النجدة !

المنظر السابع

اوندين . برتا . احد الخدم . جريت . على رخام الأرض الذى ارتفع تمدد هانز وقد ضم يديه على صدره . ملك الجان .

برتا : من ينادى ؟

اوندين : هانز ليس فى حالة جيدة ! هانز يموت !

الصوت الثالث: أوندين !

برتا : لقد قتلته ! أنت التى قتلته ؟

اوندين : قتلت من ؟ .. عمن تتحدثين ؟ من أنت ؟

برتا : ألا تعرفيننى يا أوندين ؟

اوندين : أنت يا سيدتى ؟ كم أنت جميلة ! .. أين أنا ! ..
لا يمكننى أن أعوم هنا ؟ كل شيء صلب
أو فراغ ... هل هذه هى الأرض ؟

ملك الجان : هذه هى الأرض ..

احدى الجنيات : (تأخذ أوندين) فلنتركها بسرعة يا أوندين !

اوندين : أوه نعم فلنتركها .. انتظرى ! من هذا الرجل
الجميل فوق هذا السرير .. من هو ؟

ملك الجان : يدعى هانز .

اوندين : ما أجمله من اسم ! لماذا لا يتحرك ؟

ملك الجان : انه ميت ..

جنية اخرى : حان الوقت .. فلنذهب !

اوندين : انه يعجبنى ! .. ألا يمكننا ان نعيد اليه الحياة ؟

ملك الجان : مستحيل !

اوندين : (تتركهم يسحبونها) وا أسفاه ! كم كنت سأحبه !

ســـتار ..